## مداخلة حول :

# دور النظرية في بحــوث الإعـلام والاتصال

**من إعداد : كريمة عساسي/ أمال باي**

**تقديم:**

يعتبر البحث العلمي نشاطا منظما وممنهجا يستدعي التقيد بقواعد وإجراءات تحدد إطاره المعرفي والمنهجي وتنظم خطواته وأساليب تعامله مع الوقائع والمعطيات، ولا تستثنى بحوث الاعلام والاتصال كغيرها من البحوث العلمية من التقيد بهذه الخطوات، حيث يقوم البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال على نقطة أساسية تتمثل في تبني الإطار النظري للدراسة بالاعتماد على احدى النظريات الاتصالية الكبرى التي تعد دليلا ومرشدا وعاء فكريا يقوم بتوجيه الباحث في ميدان الاعلام والاتصال في مختلف مراحل اعداد بحثه في شقيه النظري والمنهجي ويبرر مختلف اختياراته بطريقة علمية، وانطلاقا من ذلك انطلقت هذه الدراسة في محاولة الاجابة على التساؤل الآتي:

- **ما هو دور النظرية في بحــوث الإعـلام الاتصال ؟**

**أولا .مفهوم النظرية:**

- **لغة:**

إن مفهوم النظرية يتمثل في الدلالة الشائعة ولفظ نظرية مشتق من النظر الذي يحمل دلالة معنى التأمل العقلي وفي الفرنسية تعني النظرية " بناء أو نسق" متدرج من الأفكار الذي يتم الانتقال فيه من المقدمات إلى النتائج ،في حين يعرفها لسان العرب لابن منظور على أنها ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم وقيل النظر طلب علم عن علم .[1]

[1] منال هلال مزاهرة : **نظريات الاتصال**، دار المسيرة، الأردن ، 2012، ص 162

أما المعجم الفلسفي" **لالاند** " فيعرفها على أنها إنشاء تأملي للفكر يربط نتائج بمبادئ وانطلق لالاند من هذه الفكرة إلى اعتبار أن النظرية بناء فرضي استنباطي يعكس رؤية العالم حول قضية متنازع حولها كما أنها تقابل المعرفة الجزئية على أن النظرية تركيب كلي يسعى إلى تفسير عدد من الظواهر ويسلم بها كفرضية تحتمل التصديق أو التكذيب .[1]

- **اصطلاحا:**

النظرية عبارة عن مجموعة من المفاهيم و التعريفات والاقتراحات التي تعطينا نظرة منظمة لظاهرة ما عن طريق تحديدها للعلاقات المختلفة بين المتغيرات الخاصة بالظاهرة ، وذلك بهدف تفسير تلك الظاهرة أو التنبؤ بها مستقبلا ، فحسب موريس أنجرس فإنه إذا كانت الفرضية هي إقرار غير حقيقي بوجود علاقة بين متغيرين أو أكثر فإن النظرية هي إقرار حقيق لوجود علاقة ما بين متغيرات محققة إمبريقيا.[2]

إذا تكمن طبيعة النظرية في إعداد التفسير الحقيقي فيما يخص الأحداث ، الوقائع و الظواهر أما وظيفتها فهي تعميم التفسيرات المعطاة للأحداث و الظواهر لأنه من دون النظرية تظل العلاقات بين الظواهر مبهمة ،كما أن النظرية تعمل على جعل الحقيقة منطقية و مصاغة في سياق مرتب و منظم

و من هنا يمكننا القول بأن النظرية هي ممارسة عملية دقيقة بعيدة عن العشوائية مادام البحث العلمي في غياب النظرية هو بحث أعمى[3] .

---

[1] بسام عبد الرحمن المشاقبة : **نظريات الإعلام** ، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن،2011، ص 79.

[2] موريس أنجرس: **منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية** ،ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون ، دار القصبة للنشر، الجزائر،2006، ص 54

[3] لارامي وفالي: **البحث العلمي في الاتصال**، ترجمة ميلود سفاري وآخرون، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة ، ط2 ، الجزائر،2009. ص 160.

## ثانيا. مفهوم البحث العلمي في الدراسات الاعلامية

### 1. تحديد مفهوم البحث العلمي :

- **لغة** : يتكون من كلمتين كلمة **البحث** التي تقابلها في اللغة الفرنسية Recherche التي تعني حسب الموسوعة العلمية Larousse" لروس" مجموعة أعمال لها هدف الكشف عن معارف جديدة في ميدان علمي ، أما في **اللغة العربية** فإن البحث معناه التفتيش في المكان المجهول قصد معرفته ومنه استخدام للدلالة على حب الاطلاع والتعرف على مجاهل الأشياء في مجالات النشاط الفكري.
- أما كلمة **علمي** المشتقة من مصطلح علم فيقابلها في اللغة الفرنسية كلمة Science الدالة حسب الموسوعة العلمية "**لروس**" على معارف جيدة التنظيم ذات علاقة ببعض الفئات من الأحداث أو الظواهر.[1]

- **اصطلاحا**

هو نشاط علمي منظم ومحدد ، نقدي وتطبيقي يسعى إلى كشف الحقائق ومعرفة الارتباط بينها ثم استخلاص المبادئ العامة أو القوانين التفسيرية أو هو التحقق المنظم في موضوع ما أو قضايا فرضية للكشف عن الحقائق أو النظريات وتطويرها ، وهذا يعني أن ندرس و أن نحقق و أن نختبر وأن نفحص من أجل تحقيق أهداف البحث العلمي . وهذا التعريف الذي يتفق عليه كثير من خبراء مناهج البحث العلمي يشير إلى الارتباط بينها واستخلاص المبادئ العامة أو القوانين التفسيرية اعتمادا على طرق معينة تتسم بالتحديد والتنظيم والموضوعية.[2]

---

[1] أحمد بن مرسلي: **مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال**، ط3 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 2007، ص 12.

[2] محمد عيد الحميد: **البحث العلمي في الدراسات الاعلامية** ،ط2،عالم الكتب، القاهرة،2004،ص8.

## 2. تحديد مفهوم البحث في مجال الإعلام والاتصال:

وفي هذا الإطار يمكن تعريف الدراسة الاعلامية أو البحث في مجال الإعلام والاتصال بأنه: "النشاط العلمي المنظم للكشف عن الظاهرات الإعلامية والحقائق المتصلة بالعملية الإعلامية وأطرافها والعلاقات بينها و أهدافها والسياقات الاجتماعية التي تتفاعل معها من أجل تحقيق هذه الأهداف ووصف هذه الحقائق وتفسيرها والتوقع باتجاهات الحركة فيها"[1] .

### التعريف الحديث المتكامل لبحوث الإعلام :

بحوث الاعلام هي الإطار الموضوعي الذي يضم كافة الأنشطة والعمليات الإعلامية والاتصالية وهي الجهود المنظمة الدقيقة التي تستهدف توفير المعلومات عن الجمهور الموجه إليه الرسالة الاعلامية وقنوات الاتصال ووسائله والتي تستخدم كأساس في اتخاذ القرارات وتخطيط الجهود الإعلامية والاتصالية كما أن مهمتها تبدأ قبل بدء الجهود الإعلامية وتستمر باستمرارها وتقيس فعاليتها قياسا مرحليا وشاملا كما تشمل خدماتها كافة العناصر المتضمنة في العملية الاتصالية كالجمهور والوسائل والرسائل والمصادر والتأثيرات المستهدفة بطريقة متوازنة ، وهكذا فإنها تعين مخططي الاستراتيجيات الاعلامية على تحديد المدخلات الاعلامية الصحيحة وفي التعرف على المخرجات المتحققة ومدى مطابقتها للأهداف المحددة سلفا مما يسهم في تقييم كفاءة الجهود الاعلامية وتطويرها وتنميتها باستمرار. [2]

## 3. تحديد مفهوم النظرية في مجال البحث العلمي :

المقصود من النظرية في البحث العلمي هو توضيح العلاقة بين السبب والأثر " Cause effectrelationship" بين المتغيرات بهدف الشرح أو التنبؤ بظاهرات معينة، وبتعبير أوضح : النظرية

---

[1] محمد عبد الحميد ، مرجع سبق ذكره ، ص 09

[2] سمير محمد حسين : **دراسات في مناهج البحث العلمي بحوث الاعلام** ، عالم الكتب ، القاهرة ،2006 ، ص 18

أفكار مرتبطة ومنظمة تساعدنا على تفسير مجموعة من الظواهر المعروفة أو المرصودة وتصلح أن تكون أساسا للتوقع أو التنبؤ[1].

## رابعا . أهمية النظرية بالنسبة للبحث العلمي في مجال الإعلام والاتصال :

إن النظرية بالأحرى هي محصلة دراسات وأبحاث ومشاهدات وصلت إلى مرحلة من مراحل التطور وضعت في إطار نظري وعملي وتحاول تفسيره ، كما أن النظريات قامت على كم من التنظير والافتراضات التي قويت تدريجيا من خلال إجراء تطبيقات ميدانية ومن هنا فإن أهم ما يميز النظرية الإعلامية قدرتها المستمرة على إيجاد تصورات جديدة بالبحث الإعلامي ، ومن هذا المنطلق فإن الباحثين عرفوا النظريات الإعلامية بأنها خلاصة نتائج الباحثين والدارسين للاتصال الانساني بالجماهير بهدف تفسير ظاهرة الاعلام ومحاولة التحكم بها والتنبؤ بتطبيقاتها وأثرها في المجتمع فهي توصيف للنظم الاعلامية في جميع دول العالم ،كما أن النظرية هي تحديد نهائي للعلاقة بين الحقائق والمتغيرات إذ تساعد الباحث في مجال الاعلام والاتصال على تقديم تفسير للظاهرة وهو ما يجعله يتوقع اتجاهات الحركة فيها ، كونها تمثل اطارا فكريا لعدد من التعميمات ذات العلاقة المشتركة ، ويقدم هذا الإطار تفسيرا للظواهر العلمية والتنبؤ بها .[2]

وبذلك إذا كانت النظرية تمثل مستوى أعلى للتحديد النهائي للعلاقات بين المتغيرات قائما على التفسير العلمي ، فإنها من ناحية أخرى تمثل وعاء فكريا لفروض أخرى يتم اشتقاقها من خلال هذه النظريات بل إنها تعتبر بعد ذلك إطارا تفسيريا للعلاقات يمكن استخدامها في مجالات علمية أخرى فالنظريات الخاصة بعلم النفس المعرفي يتم استخدامها بتوسع في مجالات الاتصال الجماهيري والإعلام ،فنظرية

---

[1] المكتبة الشاملة:**البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية**،http://shamela.ws/browse.php/book-8368/page-110 ، 2016/04/14 ، 11:00.

[2] بسام عبد الرحمن المشاقبة ، **نظريات الإعلام** ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ،2011 ، ص 79،80 .

التعامل الرمزي والبناء الاجتماعي للحقيقة بمكن اشتقاق العديد من الحقائق التي تخدم مجالات علمية أخرى مثل توظيفها في بناء التعميمات الخاصة بتأثيرات وسائل الإعلام وكذلك يمكن توظيفها في بناء التعميمات الخاصة بتمويل وسائل الاعلام وعلاقاتها الاقتصادية بالإضافة إلى إمكانية توظيفها في العلاقات الدولية .

ويمكن القول بأن أهمية النظرية تكمن في أنها توجه الباحث في ميدان الاعلام والاتصال إلى التساؤلات الصحيحة التي يطرحها وتقع خلف قدرته على اختبار الظاهرة محل الدراسة ، وبدون النظرية تظل العلاقات مجرد رؤى أو حقائق تم تجميعها ،ولكنها توحد الحقائق في إطار واحد يفسر ويساعد على التنبؤ، ولا يعني ارتفاع مستوى النظرية هو ثباتها وعدم تغيرها ، بل إنها تكون قابلة للتغير بتغير المعرفة والعلوم التي تم صياغة النظرية في إطارها ، لأن النظرية هي جزء من كل يمثل إطار المعرفة المنظمة أو إطار العلوم في تخصصاتها المختلفة ، كما تقدم النظريات في تفسيرها للحقائق والعلاقات العديد من المفاهيم والمتغيرات المتجددة التي يتم اختبار علاقاتها بعد ذلك في فروض جديدة وهكذا ويعبر ذلك عن عملية للتغير التجديد في المعرفة العلمية.[1]

**– اسهامات البحث العلمي في بناء نظريات الاتصال:**

وأول نقطة تجدر بنا الاشارة إليها في تحديد علاقة البحث العلمي بالنظرية واسهاماته فيها هي تبيان خصائص القوانين العلمية حيث تعتبر نسبية خاصة في العلوم الانسانية والاجتماعية ، أي أنها محدودة في الزمان والمكان وتقريبية لأنها تعبر عن مقدار معرفة الباحثين للظواهر التي يقومون بدراستها مما يعني أن صيغها تتغير وفق تطور البحث العلمي، والذي يلعب دورا هاما في تطوير النظرية فيتم إثراء أو تعديل النظرية حسب النتائج الجديدة التي توصل إليها البحث العلمي، كما يُساهم في إعادة صياغة

1محمد عبد الحميد : **مرجع سبق ذكره** ، ص ص 18-19

النظرية وتوسيع نطاقها وأحيانا إعادة تحديد محور اهتمام النظرية، عندما يبتكر البحث أساليب وإجراءات جديدة، يستعين بها في جمع الحقائق وتحليلها ، فيوجه اهتمام النظرية نحو موضوعات جديدة [1]

## – اسهامات النظرية في البحث العلمي في مجال الاعلام والاتصال:

ان اسهامات النظرية في البحث العلمي يرجع إلى العلاقة التي تربط النظرية بالبحث العلمي والتي يمكن التعبير عنها بأنها علاقة تبادلية وتفاعلية متينة تتجسد في الإسهام المتبادل بينهما بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر فالنظرية بدون البحث العلمي الذي يمدها بحقائق جديدة ويمتحن صحتها باستمرار تكون عديمة الجدوى ، لأنها قد تبقى مجرد تجريد لا يعكس الواقع و نفس الشيء بالنسبة للبحث العلمي الذي لا يمكن أن يتطور دون الاعتماد على النظريات على اعتبار أن النظرية تقوم في جزء منها بتبرير عملية البحث وتعطيه الشرعية في نموذج معترف به من خلال جعل الحقائق منطقية ومصاغة في سياق مرتب ومنتظم ، إذ تستدعي ممارسة البحث العلمي التقيد بقواعد وإجراءات تكون إطارا معرفيا ومنهجيا يستفيد منه الباحث في توجيه دراسته العلمية في اتجاه صحيح يعتمد من خلاله على المنهج العلمي الذي يتناسب وطبيعة دراسته ومجالاتها.[2]

وانطلاقا من هذه العلاقات التبادلية الموجودة بينهما يستطيع الباحث أو الباحثة في ميدان الاعلام والاتصال من بناء مجموعة من المقولات حول الظاهرة موضوع الدراسة حيث تمثل هذه المجموعة من الافتراضات التي تريد تفسير هذا الجزء من الواقع موضوع الدراسة النظرية ، فالنظرية وعن طريق مجموع افتراضاتها تلعب دورا أساسيا في مجال البحث العلمي لأنها تساعد في توحيد وتوضيح ما يتم التأكيد عليه حول الواقع المدروس وبالتالي تمنح الانسجام للميدان المعرفي بفضل ما تقترحه

---

1 عبد الله عامر الهمالي: **أسلوب البحث الاجتماع وتقنياته**،ط2 منشورات جامعة قاريونس،بنغازي، 1994، ص50.

[2] عبد الله عامر الهمالي : **المرجع السابق**، ص 51

من تفسيرات يحتمل أن تظل محل اختبار دائم على محك الوقائع والأحداث هذا هو التوضيح الجيد لسيرورة الاستنتاج أو الاستنباط .[1]

كما يمكن اعتبار النظرية بالنسبة للبحث العلمي بمثابة البوصلة للمكتشف إذ أنها دليل لا غنى عنه في اختيار المسالك والطرق التي سيعبرها الباحث حيث تسمح له بتنظيم الملاحظات الكثيرة وتبرر الأدوات التي يستخدمها وباختصار إنها توجه البحث بعد التحقق منها وتدقيقها تصبح النظرية عبارة عن نسق من المعلومات تسمح للباحث بأن ينطلق منها لفهم ووضع صياغات جديدة وتفسيرات أكثر عمومية فهي تعتبر كأداة يستعان بها للوصول إلى إدراك وفهم أحسن للظواهر ولهذا تبدو النظرية كشعاع يضيء جزء من الواقع المبحوث وهكذا تتجاوز بكل بساطة التجريد لتمثل جاذبية مؤكدة تؤدي بنا إلى فهم الواقع الذي كان في السابق غامض في أذهاننا ، فهي تساعد الباحث على تنظيم نتائج دراسته وملاحظاته في صورة متناسقة تتيح له إضافات جديدة في ميدان عمله وتطبيقات تعم فائدتها المجتمع، كذلك فالنظرية تؤدي إلى مزيد من البحوث وتلك البحوث بدورها يمكن أنْ تولد نظريات جديدة وهكذا العلاقة قوية بين الاثنين. [2]

- **خطوات توظيف النظرية في البحث العلمي:**

يختلف الباحثون في نظرتهم للنظرية حيث ينقسمون إلى اتجاهين بارزين اتجاه يعتبر النظرية على أنها براديغم يقتصر على الأسس النظرية للبحث أي النظريات الموجهة للبحث، في حين أن الاتجاه الثاني يتجاوز هذا المعنى الضيق من خلال اعتباره أن النظرية تغطي الجانب النظري والمنهجي للبحث من خلال تحديد دورها في كل من تأثيرها في صياغة اشكالية البحث وتساؤلاته، تحديد المفاهيم

[1] موريس انجرس: مرجع سبق ذكره ، ص 54.

[2] موريس أنجرس: **مرجع سبق ذكره** ، ص 55

والفرضيات اختيار المنهج وأدوات جمع البيانات وغيرها من الخطوات البارزة في البحث العلمي والتي يتم التطرق إليها فيما يلي:

- **تحديد موضوع الدراسة:**

تعتبر النظرية حجرا أساسيا في البحث العلمي إذ أنه من الواجب أن يكون هناك قدرا من الملائمة بين النظرية المتبناة في البحث العلمي وموضوع الدراسة حيث يسترشد بها الباحث كونها اطارا محددا يتم ضمنه صياغة اشكالية البحث وتساؤلاته وفروضه والمفاهيم التي لابد من تبنيها وتداولها في البحث وتحديدا تلك المتضمنة في العنوان إضافة إلى ما تتضمنه الاشكالية من مفاهيم لهذا فإنه على الباحث أن يختار المفاهيم التي تقوم عليها النظرية المتبناة وأن لا يخلط بين مفاهيم النظريات المتناقضة ، فإذا ما تبنى مثلا النظرية الوظيفية فإنه في خضم البحث لابد له وأن يتطرق ويوظف مفاهيم الدور ، الوظيفة البناء، الخلل الوظيفي في حين إذا تم تبني نظرية أخرى فإنه يتم توظيف مفاهيم في سياق هذه النظرية.

- **التوجه المنهجي للبحث:**

إن تقسيم البحث إلى جزأين منفصلين نظري ومنهجي خطأ لا ينبغي القبول به، فالبحث في موضوع معين هو وحدة متكاملة يخدم كل جزء فيه مختلف الأجزاء الأخرى للبحث، ومن هنا فإن الحديث عن التوجه المنهجي للبحث لا يجب أن يكون بمعزل عن التوجه النظري ، بل أن هذا الأخير يؤثر بصورة مباشرة في كل جزئية من الجانب المنهجي للبحث، ونعني بذلك أنه ينبغي على الباحث اختيار المنهج والأدوات المنهجية الملائمة لطبيعة أهدافه البحثية والتي لا تخرج هي الأخرى عن التوجه أو النظرية المتبناة في البحث . [1]

- **اختبار أدوات وعينة الدراسة.**

- **تحليل وتفسير نتائج الدراسة**

[1] علي غربي: **أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية**،ط2، دار الطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009،ص 30.

- **الخطوات الإجرائية التي يربط بها الباحث بين النظرية والبحث العلمي :**

1- أفضل أنواع البحوث والتي تعتبر إضافة جديدة لميدان التخصص هي هذه البحوث التي يختار منها الباحث موضوع دراسته من إحدى النظريات أو من بعض مناهج التخصص ، أو من هذه المساحة التي تربط تخصصات معينة ببعضها البعض، للوقوف على الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة متعمقة والتي تعتبر أكثر فائدة من غيرها ، وهي التي تساعد على تطوير النظريات ومناهج البحث المعتمدة في الميدان البحثي ، أما إذا اختار الباحث موضوعًا محددًا ويريد أن يبحث في النظرية المناسبة له فعليه أن يضع في اعتباره ألا تكون النظريات العامة أو الكبرى هي الاختيار الأول الذي يلجأ إليه .

2- على الباحث ألا يعمد بعد اختياره موضوع بحثه إلى إلباسه إحدى هذه النظريات بطريقة تعسفية دون محاولة الوقوف على مدى صلاحية النظرية لموضوع دراسته

3- إذا اختار الباحث موضوعًا ما للدراسة فعليه – قبل أن يلجأ إلى النظريات العامة أو الكبرى – أن يبحث في الجهود التنظيرية التي تناولت موضوع بحثه بالذات ، فإذا اختار موضوعًا عن الطلاق أو التفكك الأسري أو الوعي المهني ، فلا ينتقي نظريته كمرحلة أولى من نظريات الصراع أو البنائية الوظيفية ، أو التفاعلية الرمزية ، أو الاتصال أو النسق المفتوح ليسير على خطاها ، وإنما عليه أن يبحث عن النظريات الخاصة بالطلاق ، أو التفكك الأسري أو الوعي المهني ، فهي النظريات الأكثر تحديدًا وارتباطًا بموضوع دراسته. [1]

4- إذا لم يجد أن هناك نظرية ما ترتبط ارتباطًا مباشرًا بموضوع بحثه ، فهناك خطوة أخرى يلزمه القيام بها قبل أن يلجأ إلى النظريات العامة التي أشرنا إليها عليه أن يبحث عن الدراسات السابقة في

[1] أحمد إبراهيم خضر: كيف يربط طلاب الماجستير والدكتوراه النظرية بالبحث الميداني ، www.alukah.net/web/khed ،2016/04/14، 09:45h .

موضوع بحثه ويدرسها جيدًا ، ويقف على الأطر النظرية التي استندت إليها ثم يختار منها عدة حقائق جزئية تتمتع بالشمولية والتناسق ، ويكون منها إطارًا نظريًّا يهتدي به وقد يرى البعض أن النظرية بناء شمولي يتعارض مع المعرفة الجزئية ، لكننا نرى أنه عند الضرورة يمكن للباحث أن يشكل من هذه الحقائق الجزئية بناءً شموليًّا إلى حد ما .

5- ادعاء الباحث بعدم توفر دراسات سابقة في موضوع دراسته يرفضه العلماء ، ويرون أن هذا الأمر لا يكون إلا في حالتين الأولى : عدم توافرها في أماكن محددة ؛ أي في كلية أو جامعة، أو مركز بحث ما أو في مكتبة ما، الثانية هي عدم توافرها بلغة ما، فقد تكون موجودة بلغة أخرى ، ويسري هذا الأمر على النظريات أيضًا.

6- بعد أن يضع الباحث يده على الإطار النظري الذي سيحدد له مسار بحثه عليه أن يستخرج من هذا الإطار المفاهيم والفروض والتساؤلات والمتغيرات التي ينطلق منها في دراسته، وهذه خطوة يغفل عنها الباحثون ، فهم يختارون موضوع دراستهم ويحددون أهداف وتساؤلات الدراسة ثم يختارون الإطار النظري وهذا خطأ كبير.

7- على الباحث أن يعرف عبر النظرية أو الحقائق الجزئية المستقاة من الدراسات السابقة على أوجه القصور أو النقص في المعرفة والجوانب التي لم يتم التوصل إليها أو لم تستكمل بعد ، وهذا يسمح له بطرح تساؤلات كثيرة وصياغة فروض جديدة.[1]

8- على الباحث أن يحدد عبر هذا الإطار النظري البيانات التي يجب عليه جمعها في بحثه ويعزلها عن البيانات غير الضرورية.

---

[1] أحمد إبراهيم خضر: **كيف يربط طلاب الماجستير والدكتوراه النظرية بالبحث الميداني** ، http://www.alukah.net/web/khedr/0/51828/#ixzz460p2UWPM ، 2016/04/14، 09:45h .

9- أن يستعين الباحث بمسلَّمات وفروض النظرية في وصف وتحليل وتفسير الظاهرة التي يدرسها والوقوف على العلاقات بين متغيراتها.

10- أن يستفيد الباحث من ملاحظاته الميدانية في تنقيح القضايا النظرية التي انطلق منها ويستفيد من النظرية في تنمية المهارة النقدية لديه.

11- أن يلجأ إلى النظرية في حل التناقضات بين النتائج التي توصل إليها .

12- أن يستفيد الباحث من النظرية في رؤية واستشراف مستقبل الظاهرة وفي إعداد وصياغة رؤية للواقع بموضوعية والتي بدورها تعتبر مصدرًا لمداخل نظرية جديدة.[1]

## خاتمة:

في الأخير يمكن القول أن العلاقة بين النظرية والبحث العلمي علاقة متينة تتجسد في الإسهام المتبادل بينهما بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر فالنظرية بدون البحث العلمي الذي يمدها بحقائق جديدة ويمتحن صحتها باستمرار تكون عديمة الجدوى، وكذا البحث العلمي الذي لا يمكن أن يتطور دون الاعتماد على نظريات تقوم بتبرير عملية البحث وتعطيه الشرعية من خلال جعل الحقائق منطقية ومصاغة في سياق مرتب ومنتظم .

[1] أحمد إبراهيم خضر: **كيف يربط طلاب الماجستير والدكتوراه النظرية بالبحث الميداني** ، www.alukah.net/web/khedr/، 2016/04/14، 09:45h .

# توظيف النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال

**من إعداد:**

**أ. شهرزاد سوفي/ جامعة عباس لغرور –خنشلة**

**يقول كريب «krep»"إن النظرية مفيدة إذا استطعنا التعلم منها، ولا نستطيع التعلم منها إلا إذا عرفنا كيف نستخدمها. ففهم النظرية هو مسألة تتعلق بتعلم التفكير النظري...حيث نتعلم لغة جديدة لتفسير خبراتنا في سياق الحياة".**

**مقدمة:**

يشكل البحث في حقل علوم الإعلام والاتصال مجالا خصبا للباحثين بشتى التخصصات والعلوم لارتباطه كمتغير فاعل في العديد من الظواهر المجتمعية، ولأن هذا العلم لم يتشكل هكذا اعتباطا بل جاء نتيجة تكاثف جهود الباحثين والمختصين من مجالات متعددة كعلم النفس، علم الاجتماع، الاقتصاد، السياسة...الخ منطلقا من منهجيات ونظريات مرنة لها قدرة الاسقاط والتفسير للكثير من الظواهر المرتبطة بالاتصال والإعلام فقد تطور البحث فيه على المستوى الأكاديمي ومخابر البحث ذات الصلة مستندين بذلك على منهجية محددة وأطر نظرية تفسيرية واضحة.

وبرغم يُفوع الاجتهاد في هذا العلم إلا أنه استند إلى مقاربات كبيرة من علوم أخرى والمتتبع له قد يلاحظ أنه يفتقر إلى اجتهاد التنظير فيه برغم المحاولات الكثيرة لكن هذا لا يعطي مبررا لإغفال الأهمية القصوى للنظريات سواء على مستوى العلوم الأخرى أو على مستوى اسنادها وتطبيقها في البحوث والدراسات الأكاديمية.

وتعد النظرية تلك البوصلة التي تضبط وتحدد معطيات البحث انطلاقا من اختيار الموضوع إلى غاية النتيجة النهائية لأنها مبنية على أسس وافتراضات مطبقة ومسند لواقع وظاهرة واتجاه بحثي معين بالتالي يجد الباحث نفسه كلما اعتمد منظورا معينا ينطلق منه في بحثه كلما حدد مجاله أكثر وضبط متغيرات بحثه وطور فيه وفيما تقتضيه المنظورات المقترحة.

لكن ما لفت انتباهنا نحو علاقة الباحث بموضوعه والنظرية –غير الواضحة–أدى بنا إلى الاستقراء للوضع بهذه الورقة البحثية محاولين بها إيضاح دور النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال ورصد واقع تطبيقها إضافة إلى إعطاء نموذج تطبيقي شارح لكيفية توظيف النظرية نسعى من خلاله أن تصل فكرة معينة للباحث مفادها أن أي بحث دون نظرية هو كتلة من الفوضى وعدم الاستقرار.

ننطلق في هذا البحث من المحاور التالية:

1. تطور البحث في علوم الإعلام والاتصال.
2. النظرية في علوم الإعلام والاتصال.
3. أهمية فهم وتطبيق النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال.
4. رصد لواقع تطبيق النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال بالجامعات الجزائرية.
5. أنموذج تطبيقي للنظرية/ نظرية الحتمية القيمية في الإعلام.

**أولا/ تطور البحث في علوم الإعلام والاتصال:**

إن البحث في علوم الإعلام والاتصال يعني ذلك الإطار الموضوعي الذي يضم كافة الأنشطة والعمليات الإعلامية والاتصالية مع الجهود المنظمة والدقيقة، وهدفها توفير المعلومات عن الجمهور الموجه إليه الرسالة الإعلامية وقنوات الاتصال ووسائله التي تستخدم كأساس في اتخاذ القرارات وتخطيط الجهود الإعلامية الاتصالية. (1)

وإن تطور البحث في علوم الإعلام والاتصال مرّ بعدة مراحل كان الأساس فيها هو تعاقب تطور وسائل الاتصال على مر العصور، ابتداء من الطباعة إلى غاية عصرنا الحالي، وفي كل مرة كان البحث في هذا المجال يتطور بتطور التقنية والعلم والمناهج والنظريات زد على ذلك تعقد الظواهر المرتبطة بالإعلام والاتصال، ويمكن تلخيص هذا التطور في المراحل التالية: (2)

**المرحلة الأولى:** وهي المرحلة التي ابتدأت مع ظهور اهتمام علماء الاجتماع بوسائل الإعلام مطلع القرن العشرين، حيث ارتبطت البحوث في هذه المرحلة بتأثيرات الأفلام التي انتشرت بشكل كبير جدا كما كان البحث وقتها غي منتظم كما هو الحال اليوم، وكانت الدراسات أيضا حول الوسائل المتوفرة فقط كالصحف والإذاعة، ومع الحرب العالمية الأولى والثانية اهتم الباحثون أكثر بالدعاية وأساليبها وتقسيماتها، ثم مع الثورة الصناعية تدعمت الأعمال والأبحاث بدراسات علمية عن أهمية الإعلان كفاعل اقتصادي هام في سائل الإعلام، إضافة إلى دراسات اهتمت بمجال الحملات الانتخابية في التلفزيون والراديو وانتقل

البحث بعدها إلى المؤسسات التعليمية أين اقترح **Robert lee** عام 1868 تكوينا جامعيا يخص مجال الإعلام والاتصال.

في هذه المرحلة كان التنظير في بدايته وينطلق من اجتهادات علماء الاجتماع وعم النفس الاجتماعي، وسيطر على تفسير الظواهر كل من نموذجي الوضعي والنموذج السلوكي، وكان توجه الدراسات أكثر على الجمهور وأُهمل بشكل كبير المضمون أو الرسالة الإعلامية، كما تقاطع المجال المعرفي في هذا التخصص مع المجالات المعرفية الأخرى وتضاربت الاتجاهات البحثية واختلفت المناهج والرؤى والتقنيات وأدوات القياس ومع الانطلاقة الحقيقية للبحث في علوم الإعلام والاتصال في نهاية القرن العشرين ظهرت أول نظرية تركز على تفسير تأثير وسائل الإعلام في الجمهور وهي نظرية المجتمع الجماهيري أو الرصاصة السحرية أو الحقنة تحت الجلد.

### المرحلة الثانية: 1940-1690

تأثرت هذه المرحلة من عمر البحث في مجال علوم الإعلام والاتصال بالباحثين الأمريكيين الذين اعتمدوا في دراساتهم على نظريات علم النفس الاجتماعي والوظيفة والتأثير والاتجاه إضافة إلى أساليب القياس وظهرت دراسات عن بعض المشكلات المجتمعية كالجنس والعنف ومدى ارتباط مضامين الإعلام بتطور أو تعقد أو الحد من هذه المشكلات، وكانت الدراسات هنا تركز على التأثير قصير المدى وقد اكتشف خلال هذه المرحلة أهمية العوامل الاجتماعية الوسيطة وتأثيرها على جمهور وسائل الإعلام، وتبعا لما كان سائدا في المرحلة السابقة عند الباحثين من خلال نظرية المجتمع الجماهيري إلى أن الفرد المتلقي سلبي ويعد مفردة منعزلة عن جملة الظروف المحيطة به جاء اتجاه ثان في البحث خلال هذه المرحلة ينتقد هذا الرأي بأن الجمهور المتلقي له القدرة على تلقي المضامين الإعلامية وفقا لخبراته الشخصية وميولاته والعوامل المحيطة به وهنا بدأ الانتقال في البحث إلى مرحلة جديدة لازال إلى اليوم الانطلاق منها مهما ومفيدا. (3)

### المرحلة الثالثة: من 1960 إلى يومنا هذا

في هذه المرحلة أخذت بحوث الإعلام مجالا أوسع وأعمق عما سبق، إذ لم تعنى فقط بتأثيرات وسائل الإعلام على المدى القصير بل صارت تشمل كافة أوجه النشاط الإعلامي والاتصالي من مرسل إلى رسالة إلى وسيلة إلى متلقي وأيضا علاقة الإعلام ككل بالأنظمة المجتمعية الأخرى. وقد ظهرت نماذج كثيرة كنموذج التأثير القوي إلى المعتدل إلى المحدود إلى ترتيب الأولويات إلى حارس البوابة إلى دوامة الصمت إلى الاعتماد والاستخدام والاشباع.... وتطورت المناهج والبحوث ما بين الكمية والكيفية.

ومع التطور التكنولوجي الحاصل وتبادل الأدوار بين كل من طرفي العملية الإعلامية والاتصالية وتدفق المعلومات بشكل كبير ومتسارع وبوسائط إعلامية متعددة وتدخل المتلقي في عملية التفاعل وانتقال المعلومات وقد اثبتت العديد من النظريات قدرتها على تفسير الظواهر وأخرى قصورها في تفسيرها. (4)

**ثانيا/ النظرية في علوم الإعلام والاتصال:**

ان النظرية في ابسط مفاهيمها تعني تلك:

- الخطة العقلية التي بم التأكد من صحتها بالملاحظة والتجربة.
- المعارف التي تكون في مجموعها جملة من الحقائق.
- الشرح المقترح أو الفروض التي صممت فعليا لتفسير ظاهرة معينة.

كما أنّ النظرية هي مجموع افتراضات بعضها ببعض، تقدم وجهة نظر منتظمة حول ظاهرة معينة من خلال شرح العلاقة ما بين المفاهيم والأفكار المتعلقة بهذه المظاهر.(5)

والنظرية ما هي إلا محاولة لتفسير تفاعلاتنا مع الآخرين في سياق الحياة اليومية، فإننا حالما نشرع في التفكير في شيء محدد ونسعى إلى إيجاد تفسير له فإننا نكون بصدد التفكير النظري فيه، خاصة إذا كنا لا نملك القدرة على التحكم فيه ولما كانت النظرية تقوم بتفسير أي شيء وتساعد في حل أي مشكلة فإن هذا التفسير أو التدخل في الحل يستند إلى الخبرات التي تتجمع حول وقائع وحدات الحياة اليومية وهو ما يعني أداة لتنظيم الأفكار وفك ما تحمله من خطاب، وذلك يجعل التفكير أمرا صعبا دون الاستناد إلى نظرية محددة. (6)

وهناك من يرى أن النظرية لا بد أن تتضمن الاشتراطات التالية:

- أن تأتي بمفهومات تعبر عن قضايا محددة تحديدا دقيقا.
- أن تتناغم وتتناسق القضايا التي تحويها النظرية مع بعضها البعض.
- أن تساهم في اشتقاق تعميمات معينة بطريقة استنباطية.
- أن تأتي قضايا أي نظرية من خلال آليات الاستقراء المضبوطة تلك التي عن طريقها يتم استخلاص المعارف والحقائق الاجتماعية.
- أن تخضع للاختبار والمراجعة حتى يتم التأكد من صدق استنتاجاتها أو افتراضاتها ومن تساوي في اكتشاف وقائع جديدة أو الوصول إلى تعميمات أخرى. (7)

وحسب ذلك فإن **Gibbs** يرى أن النظرية عبارة عن مجموعة من القضايا التي ترتبط ارتباطا منطقيا فيما بينها في صورة تأكيدات امبريقية تتعلق بخصائص مجموعة من الأحداث... إنها توجه النظر إلى عدد من الخصائص المشتركة فيما بينها مبنية على التحديد والمنطقية القائمة على العلاقات التفسيرية. (8)

وتختلف التعريفات في شأن المفهوم لكن في المجمل يتفق الباحثون على أن النظرية تهدف إلى الوصول لاستنتاجات علمية تصف علاقات وظيفية بين متغيرات يتم قياسها واستقراؤها ويسبقها في ذلك جملة فروض علمية يضعها الباحث لمعرفة العلاقة بين تلك المتغيرات البحثية أي بهدف الوصف أو التنبؤ أو التحكم في الظاهرة المدروسة. (9)

ويعتبر وجال التنظير في علوم الإعلام والاتصال فقيرا جدا مقارنة بغيره من العلوم، ويستند أكثر في تفسيره للظواهر على نظريات علم الاجتماع، علم النفس الاجتماعي... مع بعض الاجتهادات التي مست المجال من قبل الباحثين من علوم مختلفة وحتى متخصصين ومهتمين بوسائل الإعلام وتأثيراتها والظواهر المرتبطة بها وبالتالي أسسوا للعلم انطلاقا من النظريات التي فيها ما فيها من قدرة اسقاط وفهم وتوضيح، وعليها ما عليها من قصور، ويشار إلى أن أغلب هذه الاجتهادات هي غربية بحتة تنطلق من بيئة ثقافية واجتماعية مختلفة عن بقية المجتمعات خاصة العربية منها التي تتعامل مع هذه النظريات كسرا لإسقاطها على ظواهر قد لا يتفق منطلقها ونتائجها مع خصوصية هذه المجتمعات وسبب ذلك هو قلة الاجتهاد لابتكار نظريات خاصة تكون لها قدرة التفسير أكثر من غيرها.

وفي الوقت ذاته لا ننفي وجود بعض الاجتهاد على مستوى العالم العربي مثال ذلك فكرة من أفكار القرن الواحد والعشرين وهي التي جاء بها المفكر الجزائري عزي عبد الرحمن في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام التي سنعمد لا حقا إلى تمثيل كيفية توظيفها في البحوث المتعلقة بعلوم الإعلام والاتصال نظرا لمنطلقها الاجتماعي والثقافي المشترك في العالم العربي.

وانطلاقا؛ من فكرة أن علم الإعلام والاتصال يفتقر إلى التنظير فيه فقد لخص الباحث محمد بن سعود البشر وهو باحث بقسم الإعلام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،نقلا عن **بيرجر berger** أسباب عدم وجود نظرية محددة في هذا العلم فيما يلي:(10)

- عوامل تاريخية مرتبطة أساسا بمن كانوا يبحثون في البدء ضمن مجال الإعلام والاتصال والذين ينتمون لتخصصات كعلم الاجتماع، علم النفس، علم النفس الاجتماعي وبالتالي اتخذ من أدبيات هذه العلوم مرتكزا أساسيا وعاملا فاعلا في تطور هذا العلم ما أدى إلى أن يسود الاعتقاد لدى طلبة الدراسات العليا أن فهم هذا الأخير لا يتم بمعزل عن العلوم

الأخرى وأدبياتها، إضافة إلى غياب المتخصصين فعليا في التدريس وإن وجدوا يكونوا مهنيين أكثر منهم باحثين ومفكرين.

- عوامل منهجية مرتبطة من جهة بتمكن الباحثين والطلاب من أساسيات وتقنيات وأساليب الإحصاء دون محاولة فتح مجال أو أفق للتنظير خوفا من الدخول في مشكلة التفكير خارج أسراب العلوم الأخرى، ومن جهة أخرى المواد العلمية المقترحة في التدريس أغلبها مهنية أو تطبيقية بعيدة كل البعد عن كيفية بناء نظرية إعلامية وتطويرها.
- عامل الخوف من المسؤولية كون أن الدخول في مجال التنظير يعد مغامرة علمية كبيرة سواء على مستوى فكرة النظرية انطلاقا من طرحها إلى تطبيقها إلى تأكيدها أو على مستوى المحيطين بمن يفكر أو يسعى للتنظير لأنه سيجد صعوبة كبيرة في القبول الأكاديمي بحكم عوامل نفسية معينة ما قد اؤدي حتى إلى حدود النبذ ما أصاب الكثيرين بالفشل قبل البدء وهذا يعد عائقا كبيرا في مجال التنظير في علوم الإعلام والاتصال.

ومع ذلك ما توفر من نظريات في مجال الإعلام والاتصال أو حتى العلوم الأخرى يعد للآن حلقة بحث غنية لازال اعتمادها فاعلا ومجديا في تفسير أو الانطلاق بالبحث على كثير من الظواهر المرتبطة بالإعلام والاتصال ويمكن تخطيطها للطالب للفهم الانتقالي من الأساس إلى العمق بالشكل التالي دون التفصل فيها لأن هدفنا ليس فهم النظرية عمقا لأنه يرتبط بالطالب بالأساس وقد تفصل في ذلك الكثير من الباحثين بقدر ما يهمنا بعد مرحلة الفهم كيف يتم التوظيف وذلك على النحو الآتي:

➢ **على الباحث فهم المدارس الابستمولوجية الكبرى المتمثلة في:** (11)

| المدرسة الامبريقية | المدرسة الوضعية | المدرسة التطورية | المدرسة الثورية |
|---|---|---|---|
| ظهرت خلال القرن 18.<br>الرائد: دافيد هيوم.<br>الاستدلال المفضل/ الاستقراء أي توافق الحقيقة مع الحواس.<br>المسلمة وهي أن مبادئ العقل تنتج من التجربة.<br>الخصائص: أن المعرفة تكتسب عن طريق الممارسة والتجربة.<br>صدق المعطيات الامبريقية يسمح لنا بفهم العالم والتأثير فيه | ظهرت خلال القرن 19.<br>الرائد: أوجوست كونت.<br>التفكير المفضل/ الاستنباط أي ملاحظة الظواهر واستنباطها من الطبيعة.<br>المسلمة هي أن المعارف محدودة وبالتالي انطلاق العلم من الملاحظة.<br>الخصائص: تستخرج القوانين من الطبيعة عن طريق الملاحظة، هذه القوانين تسمح بتقدم العالم وتطوره | ظهرت خلال القرن 19.<br>الرائد: تشارلز داروين.<br>التفكير المفضل/ الاستنباط عن طريق مقارنة تطور الحضارات وبالتالي نستنتج قوانين التحول.<br>المسلمة قائمة على قانون تطور الطبيعة البيولوجي والذي يشمل أيضا الظاهرة الاجتماعية.<br>الخصائص: تخضع الحضارات لقوانين تغير تطورية من مجتمعات بسيطة إلى مجتمعات معقدة؛ حيث يصبح المجتمع معقدا كلما ازدادت كفاءته التقنية والطاقوية. | ظهرت خلال القرن 20.<br>الرائد: توماس كوهن.<br>التفكير المفضل/ الجدلي الذي يتجه بين الاستقرائي والاستنباطي من ــ إلى. حيث يجب فهم ظروف التطور والنمو لعلم ما في شكل براديغمات لا في شكل تراكم خطي للمعارف.<br>المسلمة: لا تتطور العلوم بالتراكم ولكن بالثورات العلمية التي تولد براديغمات جديدة.<br>الخصائص: تاريخ العلم وتطوره قائم على الثورات فالبراديغم غليان فكري يؤدي لحدوث ثورة علمية وهو عامل تقدم علمي مهم. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | | |

➢ **على الباحث فهم البراديغمات المهيمنة في الاتصال:**[12]

| البراديغم السيبرنطيقي | البراديغم السلوكي | البراديغم الوظيفي | البراديغم التفسيري |
|---|---|---|---|
| صارد عن البراديغم النسقي.<br>**من خصائصه:**<br>الاتصال للتحكم في الآلات وحتى عند الكائنات الحية.<br>علم الأنظمة الموجهة والمتحكم فيها.<br>يهدف إلى التنظيم الذاتي.<br>**مجال الدراسة:**<br>الاتصال التنظيمي. | صادر عن الوضعية وعلم النفس<br>**من خصائصه:**<br>نموذج: مثير/ استجابة.<br>كل مثير تقابله استجابة ملائمة وقابلة للتوقع.<br>يفترض ردود أفعال آلية.<br>**مجال الدراسة:**<br>تأثير وسائل الاتصال/ الدعاية والاقناع/سلطة وسائل الاتصال/ | صادر عن الوضعية.<br>**من خصائصه:**<br>ينظر للمجتمع كلا تنظيميا يفسر بجملة الوظائف التي يؤديها<br>الحقيقة الاجتماعية موضوعية.<br>الاتصال عملية.<br>الرسالة أهم عنصر في العملية<br>البحث عن العام.<br>**مجال الدراسة:**<br>الاستعمالات والاشباعات/ الوظائف والاختلالات الظاهرة والكامنة/ توزيع الأدوار داخل الاتصال التنظيمي | صادر عن المثالية الجرمانية.<br>**من خصائصه:**<br>توجد المعاني والدلالات في الأفعال الاجتماعية.<br>تحليل المعاني التي تكون محل اجماع في تفسير الواقع.<br>يعطي الناس معنى لسلوكهم الاتصالي في عالمهم<br>المجتمع بناء مشكل من التجارب الذاتية لأعضائه.<br>**مجال الدراسة:**<br>الاتصال التنظيمي من خلال المقاربتين الثقافية والطبيعية، الطقوس، الصراعات، الأنظمة الرمزية/ دراسة محتوى الرسالة |

➢ **على الباحث فهم نظريات الاتصال والإعلام وفق مجال الدراسة:**

| نظريات دراسة القائم بالاتصال | نظريات دراسة الجمهور | نظريات دراسة المحتوى |
|---|---|---|
| **نظرية حارس البوابة.**<br>**نظرية تدفق الاتصال على مرحلتين.**<br>**نظرية انتشار المبتكرات.**<br>**نظرية البنائية الوظيفية.**<br>**نظرية الحتمية القيمية في الإعلام.** | **نظرية الحقنة تحت الجلد.**<br>**نظريةالاستخدامات والاشباعات.**<br>**نظرية تدفق الاتصال على مرحلتين.**<br>**نظرية انتشار المبتكرات.**<br>**نظرية الحتمية التكنولوجية.**<br>**نظرية ترتيب الأولويات.**<br>**نظرية الإنماء الثقافي.**<br>**نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام**<br>**نظرية الحتمية القيمية في الإعلام.** | **نظرية التفاعلية الرمزية.**<br>**نظرية البنائية الوظيفية.**<br>**نظرية الحتمية القيمية في الإعلام.** |

**ثالثا/ أهمية فهم وتطبيق النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال:**

يقول **كريب "إن النظرية مفيدة إذا استطعنا التعلم منها، ولا نستطيع التعلم منها إلا إذا عرفنا كيف نستخدمها. ففهم النظرية هو مسألة تتعلق بتعلم التفكير النظري...حيث نتعلم لغة جديدة لتفسير خبراتنا في سياق الحياة"**[13]

وعليه فإن من فوائد النظرية أنها:

- تمتلك القدرة على تجميع الحقائق والمفاهيم والمبادئ وترتيبها.
- تقدم توضيح وتفسير لعدد من الظواهر والأحداث.
- تساعد في التنبؤ بالعديد من الظواهر وتتوقع حدوثها.

- توجه التفكير العلمي وتضبطه.

ومن ذلك يمكن أن نفهم أهمية النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال انطلاقا من أنها:

- تشكّل الأساس الفكري والمرجعي والمنطلق التصوري لدى الباحث لفهم أبعاد الموضوع أو الظاهرة المدروسة.
- تعد النظرية بمثابة النموذج الإرشادي الذي يستعين به الباحث في بحثه لتوجيهه الوجهة العلمية الصحيحة والمضبوطة.
- تحدد النظرية للباحث المعطيات اللازمة من افتراضات ومبادئ ومفاهيم مع توضيح كيفية تنظيمها وتصنيفها وتبيان العلاقات المترابطة والمتداخلة فيما بينها إضافة إلى الإجراءات المنهجية أثناء القيام بالبحث.
- تقدم النظرية للباحث جملة من المفاهيم التي يمكن أن يستعين بها في بحثه وهي بذلك تلخص لديه الكثير من الحقائق المرتبطة بموضوعه.
- تعتبر النظرية البوصلة التي توجه الباحث عن هدفه بعيدا عن الفوضى والتناقض.
- النظرية هي المنارة التي تهدي الربان إلى شاطئ الأمان. أي أنها المرشد للباحث للوصول إلى نتائج علمية ناضجة وهادفة.

**رابعا/ رصد لواقع تطبيق النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال بالجامعات الجزائرية:**

إن تطبيق نظرية علمية محددة في الجامعات الجزائرية في مجال بحوق علوم الإعلام والاتصال يمكننا رصده من خلال الاتجاهات التالية والتي استنتجناها بناء على اطلاعنا على الكم الأكبر من رسائل الماجستير والدكتوراه عبر مختلف جامعات الوطن في التخصص وعليه:

**الاتجاه الأول/ التوظيف الشكلي للنظرية:** يسود في شق معين لرسائل الماجستير وحتى الدكتوراه التوظيف الشكلي للنظرية كأي عنصر بحثي توثيقي مدرج في البحث دون أدنى توضيح أو مؤشر يدل على تطبيق عملي وفعلي لافتراضاتها ومفاهيمها وحتى التقنيات المنهجية التي تفرضها كل نظرية عن أخرى.

**الاتجاه الثاني/ التوظيف دون فهم:** ما يلاحظ في الاتجاه الثاني هو توظيف النظرية مع عنصر بسيط تحت عنوان اسقاط النظرية على الدراسة ومن يطلع على هذا الاسقاط يجده عبارة عن محاولة كسر لغة الفرضية لا غير مع أن الاسقاط يجب أن يُلمس ابتداء من اختيار الموضوع إلى غاية النتائج النهائية، كما لاحظنا أيضا أن بعض الرسائل تتضمن نظريات لا تتوافق بأي شكل أو آخر مع موضوع الدراسة.

**الاتجاه الثالث/ التوظيف بفهم النظرية:** وهناك من الباحثين من يدرك فعليا أهمية النظرية فنلمس وجودها انطلاقا من عنوان الدراسة كعنوان فرعي أو كمؤشر يدل على أن اتجاه الدراسة محدد في مجال معين للنظرية ونجدهم أيضا يسقطون افتراضاتها في سياق التساؤلات الفرعية لإعادة تجربتها وحتى التأكد من صحتها وثباتها وتوافقها مع المجتمع مجال ومحل الدراسة، إضافة إلى فهم أي منهج موائم في إطار النظرية وأي أداة وأي عينة قد تناسب تصنيف النظرية سواء على النطاق الكمي أو الكيفي.

**الاتجاه الرابع/ عدم توظيف النظرية نهائيا:** ووجدنا أيضا بعضا من الرسائل التي لا تتضمن بتاتا أي نظرية معينة لتنطلق منها وربما يعود ذلك إلى عدم الاعتراف بأهمية النظرية أو نقص التكوين في هذا المجال أو حتى عدم فهمها وبالتالي ونحن نقرأ معطيات البحث نلمس فوضى وتفكك لبنية البحث وأنه يريد دراسة كل شيء في إطار شيء واحد.

**خامسا/ كيف نوظف النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال:**

❖ **مع أنموذج تطبيقي لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام.**

1. **من الناحية الشكلية:**

توظف النظرية في البحوث الإعلامية "المذكرات ليسانس/ ماستر، والرسائل ماجستير/دكتوراه" على طريقتين أساسيتين هما:

| الطريقة الأولى | الطريقة الثانية |
|---|---|
| **توظف في الفصل الأول الخاص بموضوع الدراسة ومنهجيتها وإطارها النظري ويكون ذلك بشكل مختصر نوعا ما وبعرض لـ:**<br>**– تعريف للنظرية.**<br>**– الخلفية المعرفية للنظرية.**<br>**– مبادئ وافتراضات النظرية.**<br>**– اسقاط النظرية على موضوع الدراسة بكافة مراحله.** | **كما يمكن أن توظف النظرية في فصل مستقل للرسالة أو البحث، وعرضها بتوثيق الكثير من المعلومات المتعلقة بها والتي تخدم موضوع الدراسة مع مراعاة الشروط المنهجية لتوثيق الفصول.** |

2. **من ناحية الموضوع:**

إن وجود النظرية في البحوث الإعلامية ليس وجودا شكليا فقط بطبيعة الحال وإنما تتمرحل في أهميتها من نقطة إلى أخرى يتم تفصيلها كالآتي مع نموذج أو مثال شارح **لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام:**

- حيث ظهرت مع بداية الثمانينات من القرن العشرين لصاحبها عزي عبد الرحمن أي منذ عودته للجزائر سنة 1985 وتعرف النظرية انطلاقا من تجزئ المسمى إلى ثلاث ألفاظ؛ **فالحتمية** تعني اعتماد متغير واحد على أنه المحرك الأساس في فهم وتفسير الظاهرة، و**القيمية** من القيمة أي هي ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية ويكون في الأساس مصدرها الدين فالإنسان لا يكون مصدر القيمة وإنما أداة تتجسد فيه القيمة، أما **الإعلام** فيعني الرسالة الإعلامية بوسائله التقليدية والحديثة. تنطلق النظرية من افتراض أساسي مفاده (أن التأثير يكون إيجابيا إذا كانت إذا كانت محتويات وسائل الاتصال وثيقة الصلة بالقيم وكلما كانت الوثائق اشد كان التأثير ايجابيا وبالمقابل يكون التأثير سلبيا إذا كانت محتويات وسائل الاتصال لا تتقيد بأي قيمة أو تتناقض مع القيمة وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير السلبي أكثر)، وتتضمن النظرية منهجية واضحة تتمثل في الرؤية القيمية للظاهرة في المقابل لها أداة أو مقياس محدد لاستجلاء القيمة بأبعادها وهو مقياس (ع س ن) إضافة إلى جملة مفاهيم تطرحها النظرية. [14]

وبعد هذا المختصر الموجز عن النظرية نمر إلى شرح كيفية الإسقاط هذا الأخير الذي يتم على مستويات نوضحها كالآتي:

1. على مستوى اختيار موضوع الدراسة: يعتبر اختيار موضوع الدراسة أولى خطوات البحث التي بها يستطيع بها الباحث الانطلاق في بحثه، واختيار موضوع للدراسة ليس بالأمر الهين بل إنه عبارة عن تداخل عميق ما بين المستوى الفكري والعلمي للباحث والواقع والوسيط الرابط والمؤثر ما يؤدي به إلى الإحساس بعمق مشكلة ما في المجتمع.

**والسؤال هنا...أين محل النظرية في اختيار الموضوع؟**

**هناك سبيلين في ذلك**

**تشكل النظرية نقطة انطلاق واضحة وسهلة لاختيار الموضوع والخوض فيه، خاصة بعد الاطلاع على معطياتها وفهم افتراضاتها ليحاول الباحث بعد ذلك تطبيقها والتأكد من صحة هذه الافتراضات وفي هذه الحالي يمكننا التحدث عما يسمى بالانتماء للنظرية وتكثيف جهد البحث في عناصرها**

**والسبيل الثاني أن الباحث قد يختار موضوع بحثه بناء على احساسه بالمشكلة ومفعول التراكمات بحيث يتكون لديه إطار واضح عن الظاهرة المراد دراستها ومن أي زاوية سيام التركيز فيها، وبالتالي تحديد هذه النقطة يعني تحدي النظرية الملائمة للموضوع.**

**المثال:** انطلاقا من الاتجاه الأول الذي يعني الانتماء بالبحث إلى نظرية معينة وهي نظرية الحتمية القيمية في الإعلام اخترنا بالموازاة مع الإحساس بالمشكلة الموضوع التالي:

**إعلانات قناة أم بي سي الفضائية وأثرها على جمهور الطلبة الجامعيين الجزائريين**

**دراسة مسحية في ضوء نظرية الحتمية القيمية في الإعلام**

ولأن النظرية قائمة على جملة افتراضات واضحة ومحددة اخترنا الانطلاق في البحث من التساؤلات التالية بناء على المنطلق الرئيس للنظرية وهو اعتبار القيمة المحرك الأساس للبحث والقيمة مصدرها الدين والأثر أثر إيجابي وسلبي. وعليه فإن التساؤلات كالتالي:

2. تحديد المفاهيم المرتبطة بالدراسة: انطلاقا من المفاهيم التي اقترحتها النظرية والرؤية القيمية للموضوع فإننا سندرس كل من مفهومي القيمة والأثر حسب اتجاه النظرية.

3. تحديد البناء المنهجي للدراسة وفق النظرية: إذ أنه من المعلوم أن لكل نظرية منهجية تقوم عليها سواء أكانت ذات نزعة كمية أو كيفية، والمنهجية هنا تعني الانطلاق من رؤية نظرية واسعة قصد دراسة الواقع والظواهر المرتبطة به وبالتالي:

- انطلاقا من اعتبار نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ذات نزعة كمية فإن المنهج المناسب لهذا الموضوع الذي اخترنا أن نسقط عليه النظرية هو منهج المسح الوصفي.

- نعتمد فيه على أداة هي الأخرى تسمح باستخلاص البيانات الكمية وهي استمارة الاستبيان.
- وتتيح لنا النظرية مقياس بحثي خاص بها نعتمده في بناء هيكل الاستمارة وهو مقياس (ع س ن)
- والعينة المناسبة للدراسة هي عينة متعددة المراحل.
- وعند النزول إلى الميدان تفرض علينا النظرية كيفية التعامل مع البيانات بطريقة موضوعية أو ذاتية وعليه بناء على النزعة الكمية للدراسة وبهدف تعميم النتائج على المجتمع الكلي فإن من الضروري للباحث أن ينعزل بشخصه عن الظاهرة المدروسة ولا يبدي ذاتيته في معطياته والأخذ فقط بجملة البيانات الكمية المتحصل عليها من الميدان.

4. تحليل وتفسير النتائج انطلاقا من النظرية: بعد عملية النزول للميدان وجمع المعلومات والبيانات وتفريغها في جداول والقيام بالعمليات الاحصائية المناسبة يأتي دور التحليل والتفسير بناء على معطيات النظرية المتبناة وافتراضاتها.

مثلا: لو توصلنا أن الإعلانات في قناة أم بي سي الفضائية تؤثر إيجابا في تعزيز التواصل الاجتماعي بين الأفراد يمكن تبرير ذلك بناء على افتراض النظرية انه كلما كان المحتوى الإعلاني مرتبط بالقيمة التي مصدرها الدين كان أثره ايجابي والعكس.

**خاتمة**

نصل بعد هذا التوضيح المختصر لكيفية توظيف النظرية في بحوث علوم الإعلام والاتصال إلى القول بأنه للنظرية أهمية كبيرة في ضبط معطيات الموضوع مرحلة بمرحلة والباحث إذا استند عليها فهو يؤسس لبناء موضوع متكامل شكلا ومضمونا، ولا بد أن نوجه كأساتذة أثناء مراحل التدريس الطلبة إلى أهميتها بتليينها لهم بعيدا عن تلك التفسيرات الضخمة والمعقدة لأن النظرية في النهاية ما هي إلا فكرة قد يصح مفعولها وقد يبطل وهذا لا يحدث إلا بالدراسة المستمرة لافتراضاتها، وليس من الضرر أبدا أن يدرس الباحث موضوعه انطلاقا من نظرية معينة مهما كانت له محاولة للاجتهاد بفكر جديد أو موضوع جديد. وعليه فالنظرية هي تلك البوصلة المرشدة للطريق الصحيح والمنارة التي من شأنها أن توصل الباحث إلى مبتغاه بعيدا عن الفوضى وتشتت الأفكار.

**الهوامش:**

1. سمير حسين: **بحوث الإعلام، الأسس والمبادئ**، دار الشعب، القاهرة، 1976، ص19.
2. منال هلال المزاهرة: **مناهج البحث الإعلامي**، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان/ الأردن، 2014، ص-ص 41-47.
3. المرجع نفسه، ص –ص 48-50.
4. المرجع نفسه، ص-ص 50-55.
5. مي العبد الله: **نظريات الاتصال**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت/ لبنان، 2006، ص 14.
6. شحاتة صيام: **النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة**، ط1، دار مصر العربية للنشر والطباعة، مصر، 2009، ص14.
7. علي الحلبي: **الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع**،ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص25.
8. شحاتة صيام: **النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 16.
9. مي العبد الله: **نظريات الاتصال**، مرجع سابق، ص 15.
10. محمد بن سعود البشر: **قصور النظرية في الدراسات الإعلامية**، دراسة منشورة بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 83، صيف 2003، ص-ص 15-24.
11. أ.لارامي، ب.فالي: **البحث في الاتصال، عناصر منهجية**، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، الجزائر، 2009، ص 57.
12. المرجع نفسه، ص 75.
13. شحاتة صيام: **النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 16.
14. شهرزاد سوفي: **إعلانات قناة mbc الفضائية وأثرها على جمهور الطلبة الجامعيين الجزائريين، دراسة مسحية في ضوء نظرية الحتمية القيمية في الإعلام**، رسالة ماجستير مناقشة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة علوم الإعلام والاتصال، جامعة الحاج لخضر باتنة/ الجزائر، 2014، ص –ص 63-93.

# من نظرية الحتمية القيمية إلى نظرية الواجب الأخلاقي
# مسار براديغم.. مسار تجربة

**باديس لونيس**

**قسم علوم الإعلام والاتصال**

**جامعة باتنة1**

**مقدمة:**

تجب الإشارة في البداية إلى أن هذه المداخلة تعتبر خلاصة ثلاثة مداخلات شاركت بها في ملتقيات الحتمية القيمية؛ الأولى بعنوان: نظرية الحتمية القيمية في الإعلام (نحو براديغم إعلامي متميز)، بجامعة مستغانم عام 2011م، والثانية تحت عنوان: تحديات تواجه نظرية الحتمية القيمية في الإعلام (دراسة نقدية)، بجامعة الأغواط في 2013م، والثالثة بجامعة مستغانم عام 2014م، تحت عنوان: منهجية الحتمية القيمية في الإعلام (بين النزعتين الكمية والكيفية).

هذا مع بعض الإضافات التي تساير تطور النظرية وذلك لإعطاء صورة عن تجربة مهمة ونادرة في المنطقة في مجال التنظير بصفة عامة والتنظير في علوم الإعلام والاتصال بشكل خاص.

وذلك من خلال العناصر الآتية:

**أولا/ التعريف بالحتمية القيمية.**

**ثانيا/ الحتمية القيمية براديغم؟**

**ثالثا/ أهم التحديات التي تواجه نظرية الحتمية القيمة.**

**رابعا/ نظرية الحتمية القيمية بين النزعتين الكمية والكيفية.**

## أولا/ التعريف بالحتمية القيمية:

### - من هو عبد الرحمن عزي؟

تحصل المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي على شهادة الليسانس في الصحافة من جامعة الجزائر عام (1977) وعلى شهادة الماجستير في الصحافة عام (1980) وعلى الدكتوراه في سوسيولوجيا الإعلام عام(1985) من جامعة نورث تكساس بأمريكا. وقبل ذلك، عمل الأستاذ محررا (تغطية الأخبار المحلية) في جريدة "الشعب" اليومية (الجزائر) لمدة سنتين. و تتجاوز خبرته في التدريس و البحث و الإشراف 24 سنة إذ عمل كمدرس لمدة 3 سنوات في جامعة نورث تكساس ، ثم كأستاذ مساعد فأستاذ مشارك فأستاذ لمدة 11 سنة بمعهد علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر ثم كأستاذ لمدة 3 سنوات بقسم الاتصال بالجامعة العالمية الإسلامية ماليزيا ثم كأستاذ بقسم الإعلام بجامعة الملك سعود لمدة 4 سنوات، أستاذ بقسم الاتصال الجماهيري بجامعة الإمارات العربية المتحدة لمدة 4 سنوات، ثم أستاذ بكلية الاتصال، جامعة الشارقة منذ 2006 [1].

### - نشأة نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ومفاتيح فهمها:

رغم أن جل دراساته –منذ أول دراسة كتبها عندما عاد إلى الجزائر عام 1985م– تميزت باستناده إلى انتمائه الحضاري[2]، إلا أن عبد الرحمن عزي صرّح أنه بدأ فعليا تحديد مسار نظريته بتقديم النظرية الاجتماعية الغربية الحديثة وتكييفها مع الواقع الجديد وعلاقاتها بالاتصال، في كتابه: "**الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية: بعض الأبعاد الحضارية**"[3]. أما عن تسميتها بـ: "**نظرية الحتمية القيمية في الإعلام** فيعود الفضل في ذلك إلى طالبه وزميله الآن في جامعة الشارقة الأستاذ الدكتور نصير بوعلي[4]. وذلك بعد معارضتها بالحتمية التكنولوجية لمارشال ماكلوهان في دراسة مهمة قام خلالها بمقارنة قيمة بين النظريتين[5].

---

[1] – للمزيد انظر:

-www.sharjah.ac.ae/Arabic/Academics/.../Dr.**Azzi**_CV_ARABIC_2011.pdf (12/05/2011).

[2] – نصير بوعلي: **الإعلام والقيم؛ قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي**، دار الهدى، عين مليلة–الجزائر، 2005م، ص7.

[3] – عبد الرحمن عزي: مرجع سابق، ص11.

[4] – كان ذلك باعتراف عبد الرحمن عزي، في معرض رده على أحد الأسئلة على موقع البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال:

http://www.arabmediastudies.net/index.php?option=com_content&task=view&id=167&Itemid=1.

[5]- Nassir bouali: Lectures sur la Théorie; Déterminisme de la Valeur Morale de L'information, la bibliothèque iqraa, Constantine- Algérie, 2009,p-p7-18.

ولقراءة النظرية وفهمها فهما صحيحا قدم نصير بوعلي في إحدى دراساته* ما اصطلح عليه "بمفاتيح" النظرية، وتتمثل هذه المفاتيح استنادا إلى المقاربة البنيوية في:[6]

**- إن نظرية الحتمية القيمية في الإعلام كبنية تتضمن عناصر البناء التالية:**

أ- علوم الإعلام والاتصال كمادة خام.

ب- الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين كمادة مستوردة.

ج- التراث العربي الإسلامي على سبيل الاجتهاد وليس النقل كمادة محلية.

د- القرآن الكريم بمثابة الاسمنت الذي يمسك النظرية بإحكام.

**- أسبقية النظرية ككل على الأجزاء:** فنظرية الحتمية القيمية في الإعلام هي ذلك الكل المركب من دراسات وأبحاث نظرية عبد الرحمن عزي، ويستحيل فهمها ما لم يكن هناك إلمام بعدد معتبر من دراساته التي تزيد عن خمسين دراسة تنطلق كلها تقريبا من إشكالية واحدة هي كيفية فهم الظاهرة الاتصالية والإعلامية فهما قيميا وحضاريا.

**- أسبقية العلاقة على الأجزاء أو القيمة المحددة لها:** تتضح هذه النظرية أكثر عند إمعاننا النظر في العلاقة التي تحكم دراسات عزي عبد الرحمن، لأن ذلك سيقود إلى التغلغل في الدواخل وتوليد المعاني العميقة للنظرية(...) وتعتبر القيمة هي الحلقة أو العلاقة بنيويا التي تمسك أبحاث المفكر وتجعلها مساقط لا تتحرك إلا ضمن دائرة النظرية.

**- إن عناصر نظرية الحتمية القيمية لا تحمل أي معنى إلا في إطار السياق العام؛** أي يجب استحضار العوامل الاجتماعية والثقافية والحضارية والتاريخية التي ساعدت على تبلور هذه النظرية.

**- افتراضات وركائز النظرية:**

تنطلق النظرية من افتراض أساس يعتبر الإعلام رسالة وأهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تتبع أساسا من المعتقد. ولذلك فإن تأثير وسائل الإعلام يكون إيجابيا إذا كانت محتوياتها وثيقة الصلة بالقيم، وكلما كانت الوثائق أشد كان التأثير إيجابيا. وبالمقابل، يكون التأثير سلبيا إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأية قيمة أو تتناقض مع القيمة، وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير السلبي أكثر [7].

---

*أصدر كتابا قيما تحت عنوان: "**الإعلام والقيم؛ قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي**"، بالإضافة إلى إشرافه على ندوة حول نظرية الحتمية القيمية أقيمت بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية في الجزائر، وإشرافه على كتاب حول النظرية ضم عدة دراسات ومقالات لعدة أساتذة...

6 - نصير بوعلي: **مفاتيح نظرية الحتمية القيمية في الإعلام؛ مقاربة بنيوية**، مجلة كنوز الحكمة، العدد الثاني، مؤسسة كنوز الحكمة، نوفمبر 2009م، ص-ص 144-149.

7 - عبد الرحمن عزي: **دراسات في نظرية الاتصال؛ نحو فكر إعلامي متميز** ،مرجع سابق، ص112.

ويعتبر مفهوم السالب والموجب من بين المفاهيم الجديدة التي قدمها عبد الرحمن عزي بالإضافة إلى المخيال الإعلامي (في مقابل الرأي العام)، والزمن الإعلامي، والرأسمال الإعلامي الرمزي، والوضع والخيال "والتمعقل" (من استخدام العقل) وفعل السمع والبصر، والبنية القيمية وغيرها[8]. وهي بمثابة مباحث فرعية يرتكز عليها النسق الكلي وهو النظرية.

أما أهم **الركائز** –المبدئية– التي تقوم عليها النظرية فتتمثل حسب عبد الرحمن عزي في: [9]

- أن يكون الاتصال نابعا ومنبثقا من الأبعاد الثقافية الحضارية التي ينتمي إليها المجتمع.
- أن يكون الاتصال تكامليا؛ فيتضمن الاتصال السمعي البصري، والمكتوب والشفوي الشخصي، مع التركيز على المكتوب لأنه من أسس قيام الحضارات.
- أن يكون الاتصال قائما على مشاركة واعية من طرف الجمهور المستقبل لا أن يكون أحاديا متسلطا.
- أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع الإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو.

**ثانيا/ الحتمية القيمية براديغم؟**

انطلاقا من كل ما تقدم سأحاول الآن البحث في أهم المقومات التي تخول لنظرية الحتمية القيمية إمكانية الارتقاء إلى براديغم جديد في الإعلام، مع الإدراك الكلي لجرأة هذا الطرح، وما سيثيره من استغراب من بقي بعيدا عن النظرية، ومع ذلك لا يخفي حرجا في إبداء تحفظ غامض أو انتقاد ساذج، أو تجاهل مريب لها ولصاحبها. وسيكون إثبات ما للنظرية من مقومات الارتقاء إلى منظور إرشادي قائم بذاته من خلال أهم الشروط التي تناولناها سابقا حتى تصبح نظرية ما براديغما كما يلي:

**1- مجال البحث والمشكلات المطروحة:**

2- **المفاهيم:**

3- **المنهجية:**

**4- الجماعة العلمية:**

**5- النظريات الجزئية:**

**ثالثا/ أهم التحديات التي تواجه نظرية الحتمية القيمة:**

---

[8]- للمزيد انظر: **قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام**، إعداد نصير بوعلي، مرجع سابق، ص-ص 129-146.

[9] - عبد الرحمن عزي: المرجع السابق، ص-ص 143-144.

**1- مشكلة القيم:**

**2- مشكلة الحتمية:**

**3- مشكلة المنهج:**

**4- مشكلة تأثره بالأفكار السابقة:**

**الشخصيات:**

**النظريات:**

**بعض التحديات الأخرى:**

**رابعا/ نظرية الحتمية القيمية بين النزعتين الكمية والكيفية.**

كما أسلفنا فإن عبد الرحمن عزي ينظر إلى المنهجية على أنها الرؤية النظرية التي يتبناها الباحث وينطلق منها لمقاربة موضوعه، حيث يقول "المنهجية من النهج أو السبيل، أي الانطلاق من منظور نظري واسع قصد دراسة الواقع (أيا كان الواقع ومن ذلك الواقع الإعلامي). فالإطار النظري ما يُولّد المنهجية ومن ثم أمكن القول أن لكل إطار (أو فلسفة أو عقيدة) منهجه الخاص، فعلم العمران الخلدوني له منهجيته (الخلدونية)، والمسألة الحضارية البنابية لها منهجيتها، والتصوف (عند الغزالي وابن عربي والنورسي) له منهجيته، والأمر نفسه بالنسبة للمدارس الغربية الحديثة مثل الوظيفية (بارسونز) والنقدية (مدرسة فرانكفورت) الظاهراتية (هوسرل وشوتز) والتفاعلية الرمزية (ميد) والليبرالية والإمبريقية (التي انبثقت منها معظم النظريات الجزئية)[10].

يوافق **عبد الرحمن عزي** الظاهرتيين في أنه يجب التمييز بين المنهجية والأدوات أو التقنيات المستخدمة في المنهجية، فالمنهجية "رؤية" أي أن المنهجية إطار نظري واسع يدلك ويقودك إلى الأسئلة التي يتعين أن تطرح في البحث. وعلى هذا الأساس، فإن المنهجية تأخذ صفة الخلفية النظرية التي تؤسسه كان نقول المنهجية الخلدونية، المنهجية المادية الجدلية، المنهجية الامبريقية، ويمكن إضافة مثلا المنهجية "البنابية" نسبة إلى مالك بن نبي، والمنهجية القيمية نسبة إلى نظرية الحتمية القيمية في الإعلام (...) أما الأدوات فهي تقع بين "الرؤية" و "الواقع ويمكن أحيانا تسميتها بالمفاهيم (عامة وإجرائية)، فهذه الأدوات، وإن كانت تحمل بعض الرؤى والخلفية النظرية، إلا أنها يمكن استخدامها بفعالية بشرط أن يكون استخدامها عن وعي ولأغراض أخرى[11].

---

[10]- عبد الرحمن عزي: **منهجية الحتمية القيمية في الإعلام**، الدار المتوسطية للنشر والتوزيع، 2013م، ص 17.

[11]- عبد الرحمن عزي: **نظرية الحتمية القيمية**، المرجع السابق، ص72.

ويبدو إذن ارتباط مفهوم المنهجية عند عبد الرحمن عزي بالأصول المعرفية الابستمولوجية للنظرية ارتباطا قويا وتأسيسيا، قد يغفل حتى هو نفسه عن بعض جوانب هذا الارتباط لاعتبارات التاريخ، أو روح المرحلة، أو السياق الاجتماعي[12] .

ولأن كل باحث –كما أشار عبد الرحمن عزي نفسه– متأثر (عن وعي أو غير وعي) بخلفيته وتجربته ومجموعة من المؤثرات الثقافية المتعددة كالمكان والزمان[13]. لذلك فإن فكر البروفيسور عزي لم يكن لينفصل عن البيئة التي نشأ وترعرع فيها فقد ذكر أنه فطم في بيئة (بني ورتيلان الأمازيغية الواقعة شرق الجزائر) مفعمة بالتعاليم الدينية وحفظ القرآن[14]. كما أن إقامته بأمريكا بعض الوقت واحتكاكه المباشر مع أتباع مختلف النظريات، جعله –كما اعترف بذلك هو نفسه– يدخل إلى مجال التنظير في الاتصال تحت تأثير بعض أدوات المنهجية الغربية. وقد رأى أن ذلك أمرا عاديا إذا اعتبرنا أن المنهجية تولد أدوات أو (طريقة) عقلانية أو واقعية في الوصول إلى مجموعة من الحقائق النسبية. فالأدوات تملك مجالا مستقلا، أي محايدا نسبيا[15].

وقد مكنته تلك الأدوات من النظر إلى الذات والثقافة من زاوية خارجية، ما حفّزه للنّبش في التراث، فدرس ابن خلدون والنظرية الغربية، واستوقفته إسهامات مالك بن نبي أين أضاف عامل الإعلام إلى العناصر الأخرى المكونة لنظريته (الإنسان والتراب والزمان). ورغم أن إسهامات العلماء المسلمين الأوائل في نظرية الاتصال غير واضحة إلا أن عبد الرحمن عزي وجد في مناهجهم ما كان سندا أساسيا في تطوير نظريته [16].

ومن المهم التأكيد على أن المفكر الاتصالي عبد الرحمن عزي لا يطرح نفسه "تأصيليا" بما تواضع عليه مفكرو الأسلمة من أمثال رواد مدرسة (معهد الفكر الإسلامي) بهرندن فيرجينية، مع أنه كان لسنوات أستاذا بالجامعة العالمية الإسلامية بكوالالمبور التي اعتبرها كثيرون موئل فكر الأسلمة الحديث[17]، ويرى

---

[12]– المرجع السابق نفسه، ص 9.

[13]– عبد الرحمن عزي: **دراسات في نظرية الاتصال؛ نحو فكر إعلامي متميز**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، 2003، ص8.

[14] – http://sites.google.com/site/valuemediadeterminismtheory/bachir(15/11/2010)

[15] – عبد الرحمن عزي: المرجع السابق، ص8.

[16] – المرجع السابق نفسه، ص–ص 9–10.

[17] – محمود محمد قلندر، محمد بابكر عوض: **اتجاهات البحث في علم الاتصال؛ نظرة تأصيلية**، دار الفكر، دمشق– سوريا، 2009م، ص 124.

أن إضفاء الأسلمة على المعرفة الموجودة هو من باب الكسل الفكري والخوف من الاندماج في الآخر[18].

إذن يمكن أن نقول أن الخلفية الابيستمولوجية لمنهجية عبد الرحمن عزي اتسمت تنوع المصادر كما يوضحه الشكل (1)، فهي أولا تستند إلى القرآن والسنة، ثم إلى التراث الإسلامي القديم ممثلا أساسا في (ابن القيم، الغزالي، ابن خلدون...)، وإلى فكر مجموعة من العلماء المحدثين ( مالك بن نبي، النورسي...)، بالاظافة إلى ذلك فإن منهجية الحتمية القيمية تستند أيضا إلى أدوات المدارس الفكرية الغربية بتنوعها وتعددها (الظاهرتية، التفاعلية الرمزية، الوظيفية...).

ولكن، السؤال المطروح هنا، هل هذا التنوع يعتبر ثراء معرفيا وسندا قويا للخلفية المعرفية الخاصة بالنظرية؟

أنا اعتقد، أن العكس هو الصحيح تماما؛ فهذا الاغتراف المتعدد سيوقع حتما النظرية في تناقضات عديدة سببها الرئيسي هو حدة الخلاف بين التيارات والاتجاهات الفكرية المستند إليها. فمثلا لو توجهنا إلى الأعلام الذين تأثر بهم عزي في الخلفية الإسلامية فسنجد منهم العقلاني كابن رشد، والنقلي كابن القيم، وذو النزعة الصوفية كابن عربي أو الغزالي. ولا يخفى على احد حدة الخلاف التي ميزت التيارات الثلاث في تاريخ الفكر الإسلامي والنقاشات عالية النبرة التي استمرت منذ قرون إلى وقتنا الحالي. والتي وصلت إلى حد التكفير والزندقة والحرق كسلوك رافض للأخر وفكره.

ولعل مفهوم العقل ودوره كان مربط الفرس في كل تلك النقاشات، فابن القيم مُمثلا للتيار (السلفي) يرفض قدرة العقل على "تأويل" النص القرآني وفهمه دون الوقوع في "الهوى"، لذلك فهم ينزعون إلى الظاهر من النصوص وينظرون بعين الريبة إلى كل دعوة لأفهام جديدة غير مستندة إلى فهم السلف الصالح. أما ابن رشد ممثلا للتيار العقلاني[19].

---

[18] – حوار أجراه مع السعيد بومعيزة منشور في كتاب: **قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام**، إعداد نصير بوعلي، دار إقرأ، قسنطينة– الجزائر، 2009م، ص188.

[19] ـ لعل كتابه " فصل المقال فيا بين الشريعة والحكمة من اتصال"، خير ما يلخص توجهه الفكري.

**خاتمة**

- إن الملاحظ على جل الدراسات التي قام بها **(عبد الرحمن عزي)**، هو ميله الجلي واستخدامه البيّن لأدوات البراديغم التأويلي الذي ينحى منحى البحوث الكيفية وخاصة منها البنيوية عند استعانته بأداة التضاد الثنائي، الظاهراتية عند استئناسه بمستويات الحقيقة، ومبدأ الاختزال الذي تطرحه هذه المدرسة. ورغم هذا الميل الكبير للاتجاه الكيفي إلا أن عبد الرحمن عزي، لم يشر –حسب اطلاعي– إلى ضرورة اقتفاء هذا المنحى.
- وقد صرح عبد الرحمن عزي في إحدى دراساته في أنه يتبنى **المنهج القيمي**، مردفا فيما بعد في أن المنهج الذي يستكن إليه ينطلق من الداخل ويكون التدخل الذاتي أساسيا وهو ما لا يتفق بالطبع مع النظرة التقنية للبحث وأن الباحث ملاحظ مستقل عن الموضوع، **مؤكدا**، إن البحث في تحليله فعل قيمي، والمعرفة الحقيقية إنما تتأتى من الفعل القيمي الناتج من الجهد الذاتي، فهو (أي الفعل القيمي) كالنور. مستدلا: "قد جاءكم من الله نور" {سورة المائدة،15}، "ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور" {سورة النور، 40}، فالحياة الاجتماعية حسبه في الأصل تأسيس قيمي، يستتبع ذلك أنه من خلال الفعل القيمي يمكننا تجربة الحياة الاجتماعية بكيفية دالة.
- يقول عبد الرحمن عزي في كتابه "منهجية الحتمية القيمية": يتصف المجتمع الجزائري بأن أقواله لا تنطبق بالضرورة مع أفعاله، فقد يتحدث شفويا عن قيم تبدو "راقية" وقد يُكثر من الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وقد يشير إلى فولتير وفكتوريغو ولكن لا ترى أثر ذلك في السلوك والفعل الاجتماعي الدال ثقافيا وحضاريا. وقد سمى مالك بن نبي هذه الظاهرة **بالقيم المعطلة**.

ويضيف عزي بعد شرح هذه المشكلة: "**وفي ضوء هذه الخصوصية، يتعين على الباحث أن يدخل هذه الاعتبارات ليس في إجراءات بحثه فحسب، وإنما في تحليل نتائجه، فالنتائج محكومة بالسياقات المحيطة**"[20].

[20] – عبد الرحمن عزي: منهجية الحتمية القيمية، مرجع سابق، ص 74–75.

# نظرية الغرس الثقافي: قراءة في السياق الجزائري

**أ. وهيبة بشريف**

**جامعة باتنة -1-**

**البريد الالكتروني:Wahiba2500@hotmail.fr**

**الملخص:**

**الكلمات المفتاحية: النظرية، الغرس، الغرس الثقافي، السياق الجزائري.**

لعبت الأوضاع السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية، في القرن السبعينيات، في ظهور نظرية الغرس الثقافي، هذه النظرية التي ركزت على دراسة علاقة التلفزيون بموجة العنف التي ظهرت في أمريكا، وهذه الظاهرة التي سادت في تلك الفترة نتيجة لاعتقاد المواطنين الأمريكيين بأن هنالك علاقة بين مشاهدة وسيلة التلفزيون، التي بدأ انتشارها حديثا في الولايات المتحدة الأمريكية وبين موجة العنف، وهذا ما استدعى ضرورة قيام بدراسات حول هذه الظاهرة، لمعرفة التأثيرات التي يمكن أن يحدثها التلفزيون على المشاهد الأمريكي، حيث تمخضت عن تلك الدراسات " نظرية الغرس الثقافي" التي اختصت بالسياق الأمريكي ومنه بالمواطن الأمريكي، ومما سبق نتساءل: هل يمكن إسقاط تلك النظرية على المجتمع الجزائري؟، وهل سوف نتحصل على نفس النتائج التي تمخضت عن الدراسات الأمريكية؟.

**مقدمة:**

اخذ التأثير مكانة هامة في دراسات الاتصال بصورة خاصة، وعلى مستوى الدراسات الإنسانية بصورة عامة، حيث تكمن صعوبة التأثير في معرفة إذا كان يشمل جميع أفراد بطريقة واحدة، أو يختلف من مكان إلى أخر، حسب الإيديولوجية التي يتبناها كل فرد، ونظرا لأهمية السياق الذي يلعب دور في

إحداث التأثير بشكل مباشر أو غير مباشر، ففي البحوث الأولى لدراسات التأثير أثبتت أن التأثير يكون مباشر، وفيما بعد جاءت دراسات أخرى تثبت عكس ذلك، بأن تأثير وسائل الإعلام غير مباشر أو انتقائيا، و أحيانا يكون على المدى الطويل، ومن بين تلك النظريات نظرية "الغرس الثقافي"، التي تحاول معرفة تأثير الذي يحدث التلفزيون على المشاهدين، ومن هنا يتبادر إلينا طرح الإشكال التالي:

ماهو تفسير نظرية الغرس الثقافي لتأثير التلفزيون على الأفراد المشاهدين؟.

وتمحورت عن تلك الإشكالية مجموعة من التساؤلات، تمثلت في:

- ماهي أهم الافتراضات التي قامت عليها نظرية الغرس الثقافي؟.

- هل يحدث التلفزيون في المجتمع الأمريكي نفس التأثيرات على أفراد المجتمعات الأخرى؟.

وللإجابة على الإشكالية، تعتمد على مجموعة من المحاور التالية:

- المحور الأول: مدخل مفاهيمي.

- المحور الثاني: الخلفية النظرية للغرس الثقافي.

المحور الثالث: إسقاطات نظرية الغرس الثقافي على المجتمع الجزائري.

**- أولا: المدخل المفاهيمي:**

**1.1. النظرية:**

عرفت النظرية تعريفات كثيرة ومختلفة، فهناك من رأى بأنها مجموعة من الفروض التي يمكن الوصول بها إلى نتائج، وباحثين آخرين رأوا بأنها مفاهيم ومصطلحات وتصورات جاء بها أصحابها، ومنه يمكن أن نعرف النظرية بأنها:

كما جاءت النظرية في "**قاموس المعاني**" على أنها "قضية تثبت صحتها بحجة ودليل أو برهان، أما من ناحية الفلسفية فتعد النظرية بأنها طائفة من الآراء تفسر بها بعض".

أما في معجم اللغة العربية المعاصر، فقد عرفت بأنها(بعض الفروض أو المفاهيم المبنيّة على الحقائق والملاحظات تحاول توضيح ظاهرة معينة).[1]

وعرفت أيضا بأنها "نظام من الأفكار يقوم بتفسير شيء ما، وتعني باللغة الانجليزية , Theorem .theory , notion

- A general proposition not self evident but proved by a chain of reasoning.

- A supposition or system of ideas explanning something, notion .[2]

**2.1.عملية الغرس:**

هي عملية يتم فيها زرع مكونات معرفية ونفسية تقوم بها مصادر المعلومات والخبرة لدى من يستعرض لها، وقد أصبح مصطلح الغرس منذ منتصف السبعينات عنوان لنظرية الغرس الثقافي، التي حاولت تفسير الآثار الاجتماعية والمعرفية لوسائل الإعلام وخاصة التلفزيون باعتبار الغرس حالة خاصة من عملية أوسع هي التنشئة الاجتماعية.[3]

**- البرنامج التلفزيوني :**

---

[1] http://www.almaany.com/ar/dict/arar/%d9%86%d8%b8%d8%B1%d9%8A%D8%A9%;09/12/2015;11:14h.

[2] http://www.almaany.com/ar/dict/aren/home.php?word=%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8;09/12/2015;11:30h.

[3] محمد محمد عمارة، دراما الجريمة التلفزيونية: دراسة سوسيو اعلامية، ط1، القاهرة، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2008، ص70.

هو أحد الأنواع الإعلامية التي تسعى إلى نقل المعلومات التي تهم الجمهور ونشرها في وقت معين عن طريق استخدام تقنية البث التلفزيوني المعتمدة على الصوت والصورة.[1]

**– ثانيا: الخلفية النظرية للغرس الثقافي**

**1.2. تصنيف النظرية**

**1.1.2. نظرية التأثير المباشر**: وتندرج تحتها:

– نظرية الرصاصة السحرية أو طلقة الرصاصة.

**2.1.2. نظرية التأثير غير المباشر**: وتضم:

– سريان المعلومات على مرحلتين ل "**لازار سفيلد**" و"**غوديت**".

– نظرية انتشار المبتكرات(**Diffusion of Innovation**)، ل "**روجرز**" و"**شموخر**".[2]

– مدخل الإستخدمات والاشباعات ل "**كاتز**" وزملاؤه.

**3.1.2. نظريات التأثير الانتقائي أو نظريات التأثير في حالات:**

ترى هذه النظريات أن الوسائل (الاتصال) تؤثر في الحالات التي تطرح مسائل تنسجم مع الاهتمامات الآنية، ويكون التأثير حالة استثنائية وليست متسقة في العلاقة القائمة بين التلفزيون والجمهور[3]، وتندرج ضمنها النظريات التالية:

---

1 بطرس الحلاق، تأثير البرامج التلفزيونية في عملية التنشئة الاجتماعية " المجتمع السوري نموذجا"، مجلة جامعة دمشق، العدد الثاني، 2007، م23، ص99,

[2] مي العبد الله، نظريات الاتصال، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 2006، ص272.

[3] عزي عبد الرحمان ،وآخرون، عالم الاتصال، بن عكنون :ديوان المطبوعات الجامعية، 1990،ص41.

1- نظرية الاختلافات الفردية

2- نظرية العلاقات الاجتماعية.

3- نظرية الطبقات الاجتماعية.[1]

4- نظرية التأثير الانتقائي التي جاء بها كل من "**مليفن دفلر**" و"**روكتش**".

### 4.1.2. التأثير على المدى الطويل أو التراكمي:

وتشمل النظريات التالية:

1- نظرية الغرس الثقافي.

2- نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام.

3- نظرية لولب الصمت ل" **إليزابيت نيومان**".

## 2.2. نشأة نظرية الغرس الثقافي وتطورها:

ترجع أصول النظرية إلى مشروع المؤشرات الثقافية ( **Cultura indicators Project Research**) الذي قام به فريق من باحثي مدرسة أننبيرج للاتصال ( **Tiona annenberg School Communnic**) التابعة لجامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، خلال السبعينيات، وذلك بقيادة فريق عمل قاده"**جورج جيربنر**" **Gorge Gerbnereg** على مدى أكثر من ربع قرن.[2]

---

[1] انشراح الشال، مدخل إلى علم الإعلامي، القاهرة، دار الفجر العربي، 2001،ص154.

[2] محمد محمد عمارة، المرجع السابق، 69.

ركز مشروع المؤشرات الثقافية على ثلاث قضايا متداخلة، تمثلت في:

– دراسة الرسائل والقيم والصور الذهنية، التي تعكسها وسائل الإعلام.

– دراسة الهياكل والضغوط والعمليات التي تؤثر على انتاج الرسائل الإعلامية.

– دراسة المشاركة المستقلة للرسائل الجماهيرية على إدراك الجمهور للواقع الاجتماعي.[1]

كان الهدف من هذا المشروع إيجاد الدليل الإمبريقي على تأثير وسائل الإعلام المختلفة في البيئة الثقافية، حيث تركز هذه النظرية على التلفزيون كأحد القنوات التي تقوم بالتنشئة الاجتماعية وكقاص للحوادث والمصمم الأساسي للصور الرمزية التي تساهم في تكوين المعتقدات عن العالم الحقيقي.[2]

فالتنشئة الاجتماعية في ظل مجتمع وسائل الإعلام والاتصال الذي نعيشه، أصبحت تعتمد بشكل متزايد على التلفزيون في عملية التعلم الاجتماعي القائم على اكتساب معايير وسلوك واتجاهات وأدوار ، إلى أخر تلك المكونات التي تقضي في النهاية إلى بلورة الشخصية.

### 3.3. افتراضات النظرية:

قامت النظرية على مجموعة من الافتراضات الرئيسية، التي تعتبر الركائز التي تقوم عليها:

– التلفزيون هو أقوى وسائل الاتصال الجماهيري، بحيث يساهم نتيجة لدخوله المنازل وسهولة استخدامه مع تميزه بتقديم الصوت والصورة معا، في تنشئته الأطفال بدرجة لا تحدث مع الوسائل الأخرى، كذلك لا

---

[1] محمد منير حجاب، نظريات الاتصال، ط1، مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2010، ص306.

[2] أماني عمر الحسني، الإعلام والمجتمع: أطفال في ظروف صعبة ووسائل الإعلام مؤثرة، ط1، القاهرة، علم الكتب، 2005، ص94.

يحتاج التلفزيون إلى مهارات مسبقة للتعرض له، هكذا يمكن تطبيق هذه النظرية على التلفزيون بدرجة أكبر من إمكانية تطبيقها على الوسائل الأخرى.

- تشكل رسائل التلفزيون نظاما ثقافيا متماسكا يعبر عن الاتجاه السائد.

- عملية الإنماء تؤدي إلى خلق مفاهيم عامة توحد الاستجابة لأسئلة معينة تأتي هذه المفاهيم من التعرض الكلي لبرامج التلفزيون وليس من خلال بعض البرامج المنتقاة، فإن التعرض الكلى هو الذي يحقق أهداف عملية الإنماء بدلا من المشاهدة الانتقائية لأنواع معينة من البرامج ولابد أن نتجاهل الاختلافات والتنوع في شكل البرامج وأساليب معالجتها ولكن الاهتمام كله موجه تجاه التماثل أو التوافق الذي يقدمه المضمون العام للتلفزيون.

- تحليل الرسائل التلفزيونية يقدم دلائل على عملية الغرس الثقافي: ويقوم الدارسون للتدليل على تأثير نظرية الغرس على الناس بتحليل محتوى البرامج لكي يثبتوا كيفية قيام الوسيلة بتقديم جوانب مختلفة من المجتمع والحياة بطريقة منسجمة ومنسقة.

- تركز النظرية على مساهمة التلفزيون في نقل الصور الذهنية على المدى البعيد، وتفترض هذه النظرية أن عملية الغرس تتم ببطء عن طريق نقل الرموز الشائعة على المدى البعيد، ومع كثرة المشاهدة يتولد لدى المشاهدين ما نطلق عليه "الاتجاه السائد" الذي يركز عليه التلفزيون، ولقد أثبتت بحوث عديدة أن كثيفي المشاهدة من المجموعات المختلفة يستنبطون معاني مشتركة بدرجة أكبر من قليلي المشاهدة.[1]

توصلت نتائج تلك البحوث التي قام بها "**جورج جورنبرج**" إلى:

- أن كثيفي التعرض للبرامج التلفزيونية يختلفون في إدراكهم للواقع الاجتماعي من الأفراد قليلي التعرض.

---

[1] أماني عمر الحسيني، المرجع السابق، صص ص96،97،98..

– أن التلفزيون وسيلة فريدة للغرس لدى الأشخاص خاصة الأطفال، لتمتعه بخصائص منها قيامه بدور راوي الحكاية، وإمداد الطفل بالمعلومات، وتكرار الصور الذهنية.[1]

إن عناصر نظرية الغرس الثقافي تساهم في عملية بناء الواقع الاجتماعي من خلال مشاهدة التلفزيون والخطوة التالية هي التعلم وتساعدها عوامل تؤدي إلى حدوثه مثل الانتباه والتذكر ومن خلال التعلم يتم اكتساب المعلومات المختلفة، ثم تأتي عملية بناء للواقع الاجتماعي، ولإدراك الواقع الاجتماعي أهمية خاصة في التأثير على السلوك، ووفقا ل "بنجري" و"لها كنز" فإن عملية الغرس تنطوي على ثلاث عمليات:

– **التعلم:** هو اكتساب المعلومات (بالمصادفة) من خلال التعرض للتلفزيون أي أن التعلم هو العلاقة بين مشاهدة التلفزيون وما يتم إدراكه من أفكار وحقائق وقيم واتجاهات بالنسبة للواقع الاجتماعي المحيط.

– **البناء:** هو استخدام المعلومات لتكوين أحكام عن الواقع، أي أن البناء هو العلاقة بين إدراك ما يقدم في التلفزيون وإدراك الواقع، حيث يتجه الأفراد إلى بناء صورة للعالم الحقيقي مستخدمين المعلومات المكتسبة من التلفزيون.

– **التعميم:** هو العلاقة بين قياس درجة تعلم المشاهد لصفات وخصائص معينة يعرضها المضمون التلفزيوني وبين قياس معتقدات المشاهدين عن الواقع المحيط حول نفس الموضوع. [2]

ووجهت لهذه النظرية مجموعة من الانتقادات تمثلت في:

---

[1] منير حجاب، المرجع السابق، ص307.

[2] محمد محمد عمارة، المرجع السابق، ص ص 70،72,

– يوجه **New comb** انتقادا حادا لرؤية :"**جيربنر**" حيث يرى أن أفكار التلفزيون ورموزه التي تتدفق من التلفزيون لم تخلق من قبل هذه الوسيلة، وأن الأفكار لها تاريخ ومعان في الثقافة التي هي سابقة على التلفزيون، وحذر أيضا من إغفال أهمية التجربة الإنسانية والخبرة الشخصية.

– عدم وضوح الآلية التي يحدث من خلالها الغرس، الذي يعد بالفعل أحد التحديات لباحثي الغرس ، حيث يرى أنصار هذا الانتقاد أن بحث الغرس يحتاج نوعية من الصدق، الصدق الخارجي وقد يتحقق بوجود علاقة ارتباطيه ضعيفة بين التعرض والغرس، وصدق داخلي يرتبط بالعمليات المعرفية وكيفية تخزين خبرة التلفزيون لتصبح جزءا من الواقع الاجتماعي للفرد الذي يتعود على مشاهدة التلفزيون. [1]

**– ثالثا: إسقاطات نظرية الغرس الثقافي على المجتمع الجزائري:**

أكدت الدراسات التي أجريت في الجزائر، والتي ركزت على العلاقة بين التلفزيون وتأثير، بتطبيق نظرية الغرس الثقافي، مثلها مثل الدراسات الأخرى على التأثير الذي يتسبب به التلفزيون للأفراد الذين يشاهدونه لساعات طويلة.

أكدت دراسة حول " **إعلانات القنوات العربية المتخصصة في برامج الأطفال: دراسة وصفية تحليلية لإعلانات قناة"سبيس تون" الفضائية**"، التي تم إجراؤها على مجموعة من الأفراد في المجتمع الجزائري، على أن:

–حضور الإعلان في قناة" سبيس تون "يعد معتبرا . ويعتبر مؤشر المساحة الزمنية الأقدر على التدليل على قوة حضور الإعلان في القناة.

–إن هناك هيمنة نمط الإعلان السلعي على قنوات المتخصصة في برامج الأطفال ، حيث برزت هيمنة هذا الأخير سواء على صعيد عدد الإعلانات أو المساحة الزمنية الإعلانية .ويمكن تفسير هيمنة نمط

---

[1] نفس المرجع، ص79.

الإعلان السلعي كدلالة على المرحلة الجديدة التي تعيشها البلاد العربية في مجالات التجارة واقتصاد السوق والانفتاح على الأسواق العالمية .

–بينت النتائج كثافة الإعلان عن مواد الطفل بما لا يترك حضورا ملموسا للمواد الإعلانية ذات العلاقة باهتمامات أطراف أخرى .إذن فالجمهور الأساسي لإعلانات القناة يتمثل في فئة الأطفال ثم الأولياء وأخيرا عامة الناس، وهذا يعكس توجه المعلنين نحو قطاعات سوقية جديدة تتمثل في السلع والخدمات الخاصة بفئات الأطفال، حيث تصبح هذه الجماهير المحركات الأساسية لنشاطهم الاقتصادي.

–تتضمن إعلانات القنوات التلفزيونية المتخصصة في برامج الأطفال الكثير من القيم، لكن القيم الاقتصادية بدت مهيمنة بوضوح، وأهمها قيمة الاستهلاك والتي ترتبط كثيرا بالنمط السائد على إعلانات القناة ألا وهو الإعلان السلعي.بالإضافة إلى ذلك فقد تضمنت الإعلانات بعض القيم الاجتماعية والتربوية ، التي تتمثل عموما في قيم العمل والانجاز، المشاركة، حب الوطن.

– اتجهت الإعلانات التلفزيونية في الغالب لنقل رسائلها إلى التحريض على سلوكيات جديدة ، و هذا الاتجاه يعتبر في نظر المعلنين الأكثر ملائمة لنقل إعلاناتهم خصوصا الإعلانات السلعية منها بغية استقطاب عدد كبير من المستهلكين والتأثير على قراراتهم الشرائية بفعالية.

أما الاتجاه إلى الكف عن سلوكيات فيلاحظ عليه ضعف استخدامه في إعلانات القناة ،وهو يلاءم نقل محتوى الإعلان التوعوي على وجه الخصوص .ويتجنب العديد من المعلنين استخدام هذا الاتجاه تخوفا من ،الانعكاسات السلبية التي يمكن أن تنتج عن استخدامه، وإمكانية إضراره بصورة المنتج و سمعة المؤسسة في مواجهة المؤسسات المنافسة.[1]

---

[1] أمينة طرابلس،إعلانات القنوات العربية المتخصصة في برامج الأطفال: دراسة وصفية تحليلية لإعلانات قناة"سبيس تون" الفضائية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، تخصص: اتصال وعلاقات عامة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم علوم الاعلام والاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، 2009–2010، ص ص234،235.

توصلت إلى أن الإعلانات التلفزيونية تميل إلى طرح نمط ثقافي يدفع الطفل إلى الاغتراب لذا تؤكد هذه الدراسة على أن:

-كثافة الإعلان الأجنبي لسلع استهلاكية أجنبية المنشأ.

-الظهور الواسع لشخصيات أجنبية مقابل حضور معتبر للشخصيات العربية، وما يخص المظاهر العامة لها تجلت هيمنة المظهر الغربي حتى على فئة الشخصيات العربية( في طريقة اللباس،السلوكيات).

-اعتماد إعلانات القناة على الغناء والموسيقى الأجنبيين مقابل حضور نسبي للموسيقى والغناء العربيين.

-ظهور قيم كالحرية والاختلاط إلى جانب هيمنة واسعة للقيم المادية الاستهلاكية أمام حضور نسبي للقيم الدينية والاجتماعية التي تعبر عن الثقافة العربية.[1]

وفي نفس السياق، قام المختصين في الجزائر بالمناداة بمنع بث إشهار الخاص بمنتوج الفرماج، الذي يظهر فيه تسلل الطفلة خفية وقيام بفتح الثلاجة وسرقة قطعة الفرماج منه، وهذا ما يتسبب عند المختصون بغرس قيم غير المرغوب فيها، كقيمة السرقة، لدى النشء.

كما تم إجراء العديد من الدراسات لمعرف تأثير وسائل الأعلام في نشر العنف و كانت من أبرز هذه الدراسات تلك الدراسة " التي تناولت مجموعة من الأطفال الجائعين من ذكور و إناث ، و من نزلاء مؤسسات إصلاحية متعددة و قد تناولت هذه الدراسة **368** طفلا جائعا من الذكور و الإناث ، و قد أعرب **10 %** منهم عن تأثير المباشر للسينما كما أعرب **49 %** من الجائعين الذكور أن السينما أثارت رغبتهم لحمل السلاح ناري قاتل و أن **28%** منهم تعلموا بعض أساليب السرقة التي تعرضها أفلام السينما.

و أن **20%** منهم تعلموا كيفية الإفلات من القبض عليهم ، و التخلص من عقاب القانون ، و أن **45%** منهم و جدوا في الانحراف و الجريمة الطريق السريع إلى الثراء العاجل كما تصوره السينما لهم ، و أن

---

[1] أمينة طرابلسي، المرجع السابق، ص240,

**26%** منهم تعلموا القسوة و العنف عن طريق تقليد بعض المجرمين في أسلوب معيشتهم الذي أظهرته السينما لهم من خلال أفلام العنف .

وتعتبر فئة المراهقين والأطفال من الأكثر الفئات تأثيرا بما يشاهدونه في وسائل الإعلام لأنها تفقد المعلومات والخبرة الكافية، كما تميل إلى التقليد لأبطال الفيلم أو رسوم المتحركة وقد تسبب ذلك في كثير من الأحيان في ارتكاب جرائم. [1]

**- خاتمة:**

تعتبر نظرية الغرس الثقافي من أبرز نظريات التأثير التراكمي، كونها ركزت على معرفة ودراسة التأثير الذي قد يحدثه التلفزيون على المشاهد، حيث ظهرت هذه النظرية في المجتمع الأمريكي الذي عرف في تلك الفترة موجة من العنف والسلوك العدواني، الذي لعبت دورا في ظهور هذه النظرية، التي جاءت كنتيجة لمشروع المؤشرات الثقافية.

ان النتائج التي تمخضت عن نظرية الغرس الثقافي طبقت على المجتمع الأمريكي الذي يتميز بخصوصياته السوسيوثقافية وسياسية و اقتصادية، التي لاشك تؤثر على الفرد الأمريكي في أثناء تعرضه للمضمون الإعلامي، خاصة المحتوى التلفزيوني، من جهة، وعلى كيفية صناعة هذا المحتوى الإعلامي وطريقة عرضه، من جهة آخرى، وهو بطبع ما يجعل النتائج تختلف وتتباين، حتى وان أكدت على نقطة أساسية ألا وهي أن التلفزيون يقوم بالغرس الثقافي.

لذلك فإن تطبيق أي نظرية إعلامية لابد أن يتم تكيف متغيراتها التي تقوم عليها، لتتلاءم مع سياق المجتمع المدروس، وعينته، فالسياق يلعب دور في إحداث التأثير على الفرد داخل مجتمعه، مثله مثل أية

---

[1] http://www.aranthropos.com/%D9%88%D8%B3%D8%A7%D8%A6%D9%8,16-04-2016,13:52.

وسيلة إعلامية آخرى، وهو ما يراه البروفسور "**عزي عبد الرحمن**" تكيف النظريات الاتصالية حسب السياق والمجتمع المدروس.

**- قائمة المصادر والمراجع:**

**- قائمة المراجع:**

**- الكتب:**


- الحسني أماني عمر ، الإعلام والمجتمع: أطفال في ظروف صعبة ووسائل الإعلام مؤثرة، ط1، القاهرة، علم الكتب، 2005.

- العبد الله مي ، نظريات الاتصال، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 2006.

- الشال انشراح ، مدخل إلى علم الإعلامي، القاهرة، دار الفجر العربي، 2001.

- حجاب محمد منير ، نظريات الاتصال، ط1، مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2010.

- عمارة محمد محمد ، دراما الجريمة التلفزيونية: دراسة سوسيو إعلامية، ط1، القاهرة، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2008.

- عزي عبد الرحمان ،وآخرون، عالم الاتصال، بن عكنون :ديوان المطبوعات الجامعية، 1990.


**- الدوريات:**


- حلاق بطرس ، تأثير البرامج التلفزيونية في عملية التنشئة الاجتماعية " المجتمع السوري نموذجا"، مجلة جامعة دمشق، العدد الثاني، 2007، م23.


**- المذكرات الجامعية و الأطروحات:**

– طرابلس أمينة ،إعلانات القنوات العربية المتخصصة في برامج الأطفال: دراسة وصفية تحليلية لإعلانات قناة"سبيس تون" الفضائية مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، تخصص: اتصال وعلاقات عامة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، 2009–2010.

**– المواقع الالكترونية:**

-http://www.almaany.com/ar/dict/arar/%d9%86%d8%b8%d8%B1%d9%8A%D8-%A9%.

-http://www.almaany.com/ar/dict/aren/home.php?word=%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8 .

http://www.aranthropos.com/%D9%88%D8%B3%D8%A7%D8%A6%D9%8.

**المحور الأول:المدخل الفلسفي لنظريات الاتصال(فلسفة العلم وأصل الإبتسمولوجيا)**

**عنوان المداخلة:إشكالية العلم والأطر المرجعية المفسرة للاتجاهات النظرية الكبرى**

**من إعداد :**

***بشرى برش**

***فهيمة قابوش**

**الدرجة العلمية:طالبة باحثة سنة أولى دكتوراه**

**تخصص: وسائل الإعلام والمجتمع**

**مقدمة:**

خلال القرن التاسع عشر ظهرت إسهامات واضحة في بناء مفهوم العلم،خاصة مع ظهور الثورة الصناعية ونمو المدن وبروز الطبقة العاملة،فضلا عن تطور العلم وإرساء خلفيات ابستومولوجية كان لها تأثير كبير في ميدان العلوم الاجتماعية،فنظرية التطور التي وضعها "تشارلز داروين" سنة 1859، والتي سميت بالداروينية الاجتماعية كانت من أبرز الخلفيات النظرية التي فسرت التطور الإنساني انطلاقا من تفسير عوامل التطور والتقدم الإنساني،وذلك بالاعتماد على الدليل المادي التجريبي وحواس الفرد التي تساهم في إنتاج المعرفة الإنسانية ومن ثم تفسير الظواهر على اختلاف أنواعها،وقد استمرت هذه النظرة التطورية وانتشرت في نطاق واسع إلى أن أصبح هناك اعتراف للاستمرار الطبيعي الذي يعتبر المحرك الأساسي للتطور الإنساني،من هذا المنطلق ساد الاعتقاد بإمكانية دراسة الظواهر الإنسانية دراسة تجريبية لأن الظاهرة الإنسانية في نظر هؤلاء تخضع لعوامل خارجية كما تخضع لها الظواهر الطبيعية،على النقيض من ذلك ظهرت تيارات تنادي بتبني الاتجاهات العقلية في تفسير الظواهر الإنسانية والتنظير لها في ظل هذا التباين والصراع الذي تمخض عن إشكالية تفسير الظواهر الإنسانية والاجتماعية ظهرت اتجاهات نظرية كبرى تختلف أرائها في دراسة هذه الظواهر حسب طبيعة المسلمات التي تبنتها. وهذا ما سيتم التطرق إليه من خلال هذه الورقة التي ستحاول أن توضح أهم الأطر المرجعية المفسرة للاتجاهات النظرية الكبرى .

انطلاقا مما سبق يمكن طرح التساؤل الرئيسي كما يلي: **ماهي الأطر المرجعية التي ساهمت في تأسيس الاتجاهات النظرية الكبرى؟**

ويتفرع ضمن هذا السؤال مجموعة من الأسئلة الفرعية كما يلي:

1. ماذا نقصد بالعلم ،النظرية العلمية،العلوم الإنسانية والاجتماعية؟

2. كيف يتم تفسير إشكالية دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية؟

4. ماهي الاتجاهات النظرية الكبرى الناتجة عن إشكالية العلم؟

وسيتم الإجابة عن هذه التساؤلات عبر المحاور التالية:

المحور الأول:الإطار المفاهيمي للموضوع

المحور الثاني:إشكالية دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية

المحور الثالث: الاتجاهات النظرية الكبرى الناتجة عن إشكالية العلم ودراسة الظواهر الإنسانية .

**المحور الأول:مدخل مفاهيمي للموضوع**

في هذا المدخل سيتم عرض التعاريف الخاصة بالكلمات المفتاحية لموضوع المداخلة،كالعلم،والنظرية العلمية،العلوم الإنسانية والاجتماعية.

**1. تعريف العلم:**اختلفت الآراء بين العلماء حول طبيعة النظر إلى العلم،حيث يرى فريق من العلماء أن العلم هو عبارة عن بنية معرفية يتضمن الحقائق والمفاهيم والمبادئ والقوانين والنظريات العلمية التي تساعد في تفسير الظواهر الطبيعية والكونية وفهم الوجود،وهناك من يرى أن العلم يوصف أحيانا بأنه منهج بحث لإنتاج المعرفة ،أو أنه مجموعة من الإجراءات المعروفة التي تراجع وتصوب باستمرار،وتعود إلى خلق نظريات تتطور في كنف المعرفة نفسها بحسب توجه العلم.[1]

يتضح من التعريف أن العلم نتج بعدما توصل الإنسان على مر العصور إلى حقائق ومعارف معينة عن الكون مكنته من وصف وتفسير كثير من الأشياء والأحداث والظواهر الموجودة والتي تحدث من حوله،وهناك من يرى أن العلم يعبر عن أنماط التفكير التي ظهرت قديما عن طريق المحاولة والخطأ والتفكير المنطقي وغيرها من أنماط التفكير غير العلمي،ولقد استطاع الإنسان عن طريق هذه الأنماط المختلفة من التفكير أن يحصل على إجابات ويصل إلى تفسيرات معينة للأشياء والأحداث والظواهر من حوله،وكثيرا ما يقبلها الإنسان دون أن يناقشها ويتساءل عن كيفية التوصل إليها أو التحقق من صحتها،ورغم ذلك فقد ظلت طوال قرون عديدة عاجزة عن توفير الحقيقة كما تدعمها الملاحظات الدقيقة للوقائع المحسوسة ونتائج التجربة العلمية ،ثم استطاع الإنسان بفضل اكتشافه طرق وأساليب التفكير العلمي إلى معرفة محققة وإلى التغلب على المشكلات التي عجز في الماضي عن إيجاد الحلول الصحيحة لها.

**2. تعريف النظرية العلمية:** يتصور البعض أن النظرية ما هي إلا فكرة أو تصور مجموعة من التصورات وضعت مسبقا لتفسير شيء ما، ويرى البعض الأخر أن النظرية لا تختلف كثيرا عن الافتراض العلمي أي قضية تحمل تفسيرا مبدئيا أو حلا مقترحا لموضوع أو ظاهرة أو مشكلة معينة،في حين تعبر البعض الأخر أن النظرية تمثل نموذجا(براديغم) أو تقترب من عمليات صياغة الأنماط بوصفها نوع من التنميط يساعد على تحديد العلاقات المتداخلة بين خصائص أو ظواهر نحاول توضيحها أو تفسيرها.[2]

**3. العلوم الإنسانية والاجتماعية:**هي العلوم التي تدرس الواقع الإنساني بحوادثه قصد معرفة العوامل المؤثرة فيه، والكشف عن نظمه وقوانينه،أي أنها تدرس الإنسان وتفاعلاته الاجتماعية.[3]

**المحور الثاني:مدخل عام لإشكالية العلم**

إن البحث في إشكالية العلم يقودنا إلى رصد بعض خلفياته الإيديولوجية،والتقصي عن الأسباب التي سمحت بنشوءه ولعل من أهمها بروز نماذج معرفية تأسست على أراء مفكري وفلاسفة العصور الوسطى وعصر النهضة،ومع بداية العصر الحديث بدأت بوادر النظام المعرفي تتجسد في أفكار علماء وفلاسفة ذلك العصر،الذين كانوا يعتبرون أن المجال الحقيقي للمعرفة البشرية هو الطبيعة،وأن التنقيب والبحث عن خفاياها واستقراء عناصرها المختلفة لغرض ترتيبها وتصنيفها ومعرفة قوانينها العامة هو المجال الحقيقي للنشاط الفكري للإنسان،إلى جانب ذلك فقد اعتمدوا في البحث عن الماهية الحقيقية للظواهر انطلاقا من استنادهم لمناهج الفيزياء الرياضية والهندسة ،والملاحظة والتجريب ،بحيث تصبح الظواهر مجرد ثوابت ومتغيرات داخل المعادلات الرياضية والهدف من هذه العملية هو قياس وتكميم تلك الظواهر بدقة،وقد استعمل "غاليلي" هذا المنهج قاس الزمن والفضاء والحركة...إلخ،وواصل فيما بعد "نيوتن" الاعتماد على المنهج التكميمي وعنوان كتابه"المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية"خير دليل على ذلك.[4]

انطلاقا من هذه الخلفية العلمية التقى المحدثون والمعاصرون على مستوى ضرورة التكميم ويمكن رصد إرهاصات هذا الهيكل المنهجي عند العرب والمسلمين الذين استعملوا حساب الهندسة والتناسب في علم الفلك،ويوجد هذا المنهج أيضا عند اليونانيين عندما كان أفلاطون يحلم ببناء عالم المثل إلى أن يكون هذا البناء مطابقا للنماذج الهندسية ،وقد استمرت هذه النظرة حتى أواخر القرن التاسع عشر حيث طور العلماء بعض الأساليب العلمية لتفسير مختلف الظواهر حيث استخدموا التجربة التي تنطلق أساسا من الملاحظة الحسية للظواهر من أجل الكشف عن الحقائق العلمية المرتبطة بهذه الظواهر وتبريرها نتيجة لهذا التحول الفكري الذي أجراه مفكري وعلما أفذاذ من أمثال غاليلي ونيوتن وكبلر...وما فتحتهم مؤلفاتهم من أفاق جديدة للفكر الإنساني فسح المجال أكثر لدراسة الظواهر الإنسانية وهذا ما اهتمت به العلوم الاجتماعية في بدايات تفسيرها لهذه الظواهر،في هذا الصدد نجد أن علماء الاجتماع وفي مقدمتهم "أوغست كونط"و"دور كايم "و"ماكس فيبر" حاولوا أن يكونوا علميين قدر الإمكان لتفسير مختلف الظواهر الإنسانية ،حيث وضعت أعمالهم أساسا منهجيا ونظريا قويا ،وهو ما نلمسه حديثا في البحوث الإمبريقية التي قام بها علماء اجتماع محترفون أمثال هايسي. [5]

تلك البحوث تجاوزت بأسسها المنجية ونتائجها الفهم المتضارب والبديهي للناس العاديين،وعلى النقيض من ذلك ظهرت العديد من الاتجاهات التي نادت برفض الوضعية بدعوى أنها اختزلت العلم في مجرد "علم الوقائع" وتبني الاتجاهات العقلية في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية حيث ظهرت العديد من المناهج العلمية في هذا المجال مثل المنهج الهرمونيطيقي(منهج كيفي) والمنهج النقدي في تفسير هذه الظواهر ،وسيتم توضيح هذه التناقضات في المدخل الخاص بإشكالية تفسير الظواهر الإنسانية.[6].

**ثالثا: إشكالية دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية**

إن التقدم والتطور الذي حققته الدراسة الإمبريقية وما أحرزته من نتائج في علوم المادة الجامدة جعل منها نموذجا لكل معرفة تسعى لتحقيق الدقة والموضوعية ،خاصة بعد اقتحام هذه العلوم ميدان الظواهر الإنسانية وللتعرف على ذلك نعرض ما طرحه الاتجاه الذي تناول المماثلة والتداخل بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية.

**1. المماثلة والتداخل بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية:**

إن تبني المقاربات الفكرية الإمبريقية التي تمخضت عن مفهوم العلم واشكاليته،أدى إلى ظهور نزعة تعتقد بإمكانية تفسير كل الظواهر باختلاف أنواعها والتي ظلت دون تفسير في ذلك الوقت ،وقد تطورت هذه الخلفيات الابستيمولوجية أثناء القرن التاسع عشر،حيث خضع مفكروا هذا العصر وفلاسفته لسيطرة نموذج "فيزياء نيوتن" القائم على التجربة،وتم تعميم الأسس الإمبريقية لتشمل العلوم الإنسانية ،وكان من نتائج ذلك أن تم اختزال الظواهر الإنسانية في جوانبها الحسية والفيزيقية،وإسقاط كل ماهو متجاوز ومتعال وغيبي عن هذا الوجود،حتى إنه لم يعد هناك فرق بين الظاهرة الإنسانية والظاهرة الطبيعية،وقد اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على المسلمات التالية :[7]

إن المجتمع الإنساني ظاهرة طبيعية فلماذا نستثنيه إذن من كافة القوانين والانتظامات التي تحكم الظواهر الطبيعية الأخرى.

**ـ موضعة الظاهرة الإنسانية:**استطاعت العلوم الطبيعية منذ نشأتها أن توفر شرط الموضوعية الذي أعطى لنتائجها مصداقية لا يختلف حولها الدارسون،وتحت تأثير هذا النجاح حاول أوائل المهتمين بالظواهر الإنسانية استلهام هذا النموذج العلمي بهدف إنتاج معرفة علمية موضوعية تسمح بتحرير الإنسان من سلطة التصورات اللاعلمية،سواء تعلق الأمر بالظواهر النفسية (المدرسة السلوكية مع "جون

واطسون" في أمريكا أو بالظواهر الاجتماعية (المدرسة الوضعية في فرنسا مع "سان سيمون"و"أوغست كونط"و"دور كايم")،وبالتالي فإن الظواهر الإنسانية والاتصالية تخضع للدراسة العلمية من خلال التعامل معها كأشياء أو موضوعات لها وجودها الخارجي المستقل عن الذات،قابلة للملاحظة والتجريب وتخضع مثل ما تخضع له الظواهر الطبيعية لقوانين ثابتة يمكن الكشف عنها.

**_ الأساليب المنجية:** يرى أوغست كونط أن الظاهرة الإنسانية يجب أن تكون إمبريقية وقابلة للإدراك عن طريق الحواس،وعن المنهجية التي تفسر ذلك فتتمثل في الاستدلال الفرضي والتحقق من ذلك عن طريق إخضاع الظاهرة الإنسانية للتجربة،فعندما تقاس الحياة الاجتماعية وتحسب إحصائيا فإن العلم الاجتماعي يمكنه أن يقدم ما تقدمه العلوم الطبيعية.[8]

**_ الظاهرة الاتصالية والعلوم الطبيعية:**

لقد أسس الاتصال حقله المعرفي الخاص داخل فضاء العلوم الاجتماعية ،أحد المداخل الأساسية للتساؤل عن شرعيته العلمية كعلم قائم بذاته،وهو ماجعله يبحث عن نماذج تضفي عليه الطابع العلمي،حيث تبنى رؤى العلوم الطبيعية وقام بتكييفها مع خصوصيته الأكاديمية،فمنذ القرن التاسع عشر ظهرت الأنظمة التقنية الأساسية للاتصال،وتكريس مبدأ التبادل الحر إذ يعتبر القرن الذي احتضن ميلاد رؤى وأفكار تأسيسية ترى في الاتصال عامل اندماج وتواصل المجتمعات الإنسانية،فقد تضمن مفهوم الاتصال في نهاية هذا القرن فكرة إدارة التنوع الإنساني،بعد أن تم استحياء التصورات الأولى لعلم الاتصال من الفكر الذي يرى في المجتمع كيانا عضويا،أو مجموعة أعضاء تؤدي وظائف متكاملة محددة بدقة.[9]

**2. الاختلاف بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية:**

على عكس الرؤية السابقة التي تؤكد على التشابه والتداخل القائم بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية،ظهر موقف يتبنى رؤيته من الصراع المستمر بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية،ويوضح أصحاب هذا الموقف أرائهم في ما يلي:

_ إن من خصائص الظاهرة الإنسانية أنها لا تقبل الملاحظة الحسية.

_ البحث في الظواهر الإنسانية يغلب عليها الطابع الكيفي لا الكمي الذي تمتاز به العلوم الطبيعية.[10]

_ الظاهرة الإنسانية ظاهرة معقدة لأن هناك عوامل عديدة تتداخل في تحديدها، الأمر الذي يطرح صعوبة في تعليل الظاهرة وتحديد العامل الذي يتحكم في مسارها.

_ الظاهرة الإنسانية ظاهرة طبيعية ذاتية لأن الإنسان هو الذي يفكر وهذا ما يعيق تحقيق الموضوعية.

_ يرى الأنثربولوجي المعاصر"ستراوس" أن تشبيه الظاهرة الإنسانية بالطبيعية رأي فيه الكثير من الإجحاف لأن علوم الإنسان لم تقدم سوى تفسيرات فضفاضة وتنبؤات تعوزها الدقة،ومن ثم تظل هذه العلوم وسط الطريق متأرجحة بين التفسير والتنبؤ دون أن تحقق تقدما كبيرا يؤهلها لبلوغ مستوى العلوم الطبيعية.

_ يرى "ايمانويل كانط" أن الظاهرة الاجتماعية لا تشبه الطبيعية في شيء لأنه يؤكد أن ملكة العقل هي المسؤولة عن نشأة الوجود البشري،وذلك أن العقل يحاول دائما تجاوز نطاق التجربة بحثا عن الحقيقة التي تميز الظواهر،ويسير"سميل"على خطى كانط بشأن تفسير الظاهرة الإنسانية والاجتماعية ،فالعالم لكي يدرك الظاهرة الاجتماعية يضطر إلى أن ينظم رؤيته لها من خلال أنساق ومقولات ونماذج...تكون بمثابة أطر للفهم ومحددات له.[11]

_ ويذكر"عبد الوهاب لمسيري"أن هناك عدد من الاختلافات والفروق بين الظاهرتين الطبيعية والإنسانية تتلخص في النقاط التالية:

_ أسباب الظاهرة الإنسانية يصعب حصرها لأنها متعددة ومتداخلة ومتشابكة،بينما يسهل تحديد وحصر العلة أو العلل التي تكون وراء نشوء الظواهر الطبيعية.

_ تتميز الظاهرة الطبيعية بغياب المكون الشخصي أو الثقافي أو التراثي عنها،فهي بلا شخصية ولا ثقافة ولا تراث،كما أنها مجردة من الزمان والمكان مثل تجردها من الوعي والذاكرة والإرادة،وبالمقابل نجد أن هذه المكونات الشخصية والثقافية والتراثية مكونات أساسية في بنية الظاهرة الإنسانية،أضف إلى ذلك تعدد هذه الثقافات وتعدد الشخصيات الإنسانية،هذا مع حضور الوعي والإرادة الحرة والشعور والذاكرة...في الظاهرة الإنسانية.

_ دراسة الظواهر الطبيعية تقود إلى صياغة قوانين عامة يمكن التأكد من وجودها وصحتها بالرجوع إلى الواقع، أما دراسة الظواهر الإنسانية فتوصلنا إلى تعميمات تقريبية، قد تثبت ولا تثبت إذا حاولنا تطبيقها على مواقف إنسانية جديدة.[12]

*إضافة لكل هذه الفروق تختلف وقائع العلوم الطبيعية عن وقائع العلوم الإنسانية في كون الأولى يمكن إدراكها عن طريق الحواس لأنها أحداث فيزيقية، أما الثانية فلا يمكن إدراكها عن طريق الحواس لأنها ذاتية وتختلف من فرد إلى أخر،ولذلك فهي وقائع تتصف بحريتها وبعدم قابليتها للتكرار.

ولقد رفض كثير من العلماء الغربيين الرؤية الساذجة التي تصر على إقصاء الجوانب الفردية للظاهرة الإنسانية،والتي تدعو إلى إلحاقها بالظواهر الطبيعية،ويرى "ويلهم ديلتي" أنه توجد حدود فاصلة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية،ورأى أن العلوم الاجتماعية مبنية على أسس منهجية مختلفة عن العلوم الطبيعية،فالفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية يكمن في أن مادة العلوم الاجتماعية هي العقول البشرية،وليست مشتقة من أي شيء خارجها مثل العلوم الطبيعية التي هي مشتقة مثل العلوم الطبيعة التي هي مشتقة من الطبيعة،فالإدراك الإنساني والنفسي هما غاية العلوم الاجتماعية،ويمكن الوصول إليها من خلال التحديد الدقيق للمعاني والقيم التي ندرسها هي عقول الفاعلين الاجتماعيين،وليس من خلال مناهج العلوم الطبيعية،ويوضح هذه الرؤية الفيلسوف "ميرلوبونتي "في كتابه "فينومينولوجيا الروح":أن تشبيه الظاهرة الإنسانية بالطبيعية هو حذف ونسيان للعالم المعاش.[13] أي أنه ينبغي العودة إلى الإنسان باعتباره مولدا للمعنى.

**3. مدخل يوضح الاتجاهات النظرية الكبرى الناتجة عن إشكالية العلم:**

*أمام هذا الاختلاف الذي ظهر من أجل تفسير الظواهر الإنسانية ،برز تياران فكريان في حقل بحوث الاتصال يختلفان في دراسة الظاهرة الاتصالية وذلك حسب طبيعة المسلمات العلمية التي انطلق منها كل تيار(الوضعي ،والتأويلي).

بالنسبة للتيار الوضعي برر موقفه انطلاقا من الاعتماد على تشبيه الظاهرة الإنسانية بالظاهرة الطبيعية وعليه فإن بحوث الاتصال تستند إلى الرؤية الوضعية والامبريقية وهذا ما تبنته بعض براديغمات الاتصال الكبرى كالبنائية الوظيفية،والسبرنيطيقا والسلوكية،التي تهدف إلى تكميم الظاهرة الاتصالية،أما التيار

التأويلي فيفند مبررات التيار السابق لأنه يؤمن بالعمليات العقلية للإنسان ويفسر الظواهر الاتصالية عن طريق عمليات الفهم والتأويل بعيدا عن التجربة المعملية التي لا تتيح إمكانية المعايشة للواقع ومشاركته وفهم ظواهره المتنوعة والمتعددة،ويندرج ضمن هذا التيار براديغمات توظف في بحوث الاتصال،تتمثل أساسا في النظرية النقدية،والظاهراتية،والتفاعلية الرمزية،البنيوية.

**خاتمة:**

من خلال هذا الورقة اتضح أن إشكالية العلم وإشكالية تفسير الظواهر الإنسانية والاجتماعية بصفة خاصة والتي برزت في المماثلة والاختلاف بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية شكلت الإطار المرجعي الرئيسي الذي ساهم في تأسيس التيارات النظرية الكبرى في العلوم الاجتماعية ،هذه الخلفية الابستيمولوجية أدت بدورها إلى ظهور براديغمات(نظريات كبرى) في بحوث الاتصال.

**قائمة المراجع:**


1_ باتريك هيلي: **صور المعرفة "مقدمة لفلسفة العلم"**،ترجمة:نور الدين شيخ عبيد ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية المعاصرة،بيروت،2008،ص11.

2_ فيليب جونز :**النظريات والممارسة البحثية**،ترجمة:محمد ياسر الخواجة،ط1،مصر العربية للنشر والتوزيع،مصر،2010،ص10.

3_ تعريف العلوم الإنسانية والاجتماعية،متاح على الرابط:**http://www.philomartil.com**

تمت زيارة الموقع بتاريخ:2016/04/11 على الساعة 14:30.

4_ إشكالية العلم،متاح على الرابط: **www.aljabiabed.net** تمت زيارة الموقع بتاريخ 04/11 /2016 على الساعة 16:00.

5_ إيان كريب:**النظرية الإجتماعية من بارسونز إلى هابر ماس**،ترجمة:محمد حسين،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،1999،ص36.

6_ محمد أمزيان:**منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية**،ط3،بيت الحكمة للترجمة والنشر،وجدة،1996،ص25.

7_ ميشال فوكو :**الكلمات والأشياء**، ترجمة:فريق الترجمة بمركز الإنماء القومي،مركز الإنماء القومي،بيروت،1989،ص284.

8_ موضعة الظاهرة الإنسانية:أحمد جابر،متاح على الرابط:**http :www.philomartil.com**،تمت زيارة زيارة الموقع بتاريخ:04/12/على الساعة 16:00.

9_ منتديات علوم الإعلام والاتصال،**البحث في علوم الإعلام والاتصال**،الرمال البيضاء،2010،ص04.

10_ مصطفى عبد الجواد:**قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع**،كلية الآداب . جامعة القاهرة . مصر،2002،ص219.

11_ عبد الوهاب المسيري:**الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان**،ط1،دار الفكر ،دمشق،2002،ص13.

12_ علي عبد المعطي محمد:**رؤية معاصرة في علم المناهج**،ط1،دار المعرفة الجامعية،مصر،ص ص321،322.

13_ نصر حامد أبو زيد:**إشكاليات القراءة وأليات التأمل** ،ط6،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،2001،ص24.

# الاتجاهات النظرية في وسائل الإعلام الجديدة

أ. غالية غضبـان

ورقة بحثية مقدمة في اليوم الدراسي

-الجدوى العلمية لنظريات الاتصال في بحوث الإعلام والاتصال-

جامعة باتنة 1

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات

**الملخص:**

تتناول هذه الورقة والموسومة ب الاتجاهات النظرية في وسائل الإعلام الجديدة، تحليلا نقديا للتطورات والمفاهيم النظرية المهمة في حقل وسائل الإعلام الجديدة، كما تستعرض بعض جهود الباحثين في الاتصال، خاصة تلك المتعلقة بتطبيق نظريات الاتصال على وسائل الإعلام الجديدة، والاتجاهات النظرية والبحثية التي تتناول العناصر الاتصالية المختلفة في الوسائل الجديدة. وتعتمد الدراسة على اعطاء بعض الأمثلة من نظريات الاتصال ومعرفة قدرتها على تفسير ظواهر الإعلام الجديد.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الجديد، نظريات الإعلام والاتصال.

**مقدمة:**

يعيش المجتمع المعاصر تحولات هائلة في مجال الاتصال والإعلام أدت في السنوات الأخيرة إلى تغيرات كبيرة في أساليب إنتاج وتوزيع وتلقي المعلومات. فقد ظهرت تقنيات وأساليب اتصالية حديثة، وإنتشرت عن طريقها خصائص ووظائف اتصالية جديدة، من أهمها التحول من وسائل الاتصال الجماهيري ذات الإتجاه الواحد، والمحتوى المتجانس، إلى تقنيات الاتصال التفاعلية ذات الاتجاهين، والمضامين المتعددة، وظهر مصطلح الإعلام الجديد للتعبير عن هذه الظواهر الجديدة.

ومصطلح الإعلام الجديد New Media هو اسم جامع لعدة ظواهر تقنية حديثة، أهم ما يميزها هو إعتمادها على التقنية الرقمية digitization والتي يتم عن طريقها تحويل جميع النصوص والمضامين الإعلامية إلى شكل موحد يمكن معالجته بالحواسب الآلية. ويؤدي ذلك في نفس الوقت، إلى ظاهرة الإندماج convergence بين المحتويات الإعلامية ومعالجتها وتوزيعها وتخزينها بطرق آلية موحدة، ولذلك يطلق عليه أيضاً اسم الإعلام الرقمي digital media. كما أن ذلك أدى إلى سهولة الإستخدام والتحكم الشخصي بوسائل الاتصال والإعلام.

فالإعلام الجديد لا يقتصر على صعيد الوسائل فقط، و إنما أيضا على صعيد الانقلاب الذي أحدثه هذا الإعلام في نظريات الاتصال حيث تحول المستقبل وفقا لهذا النظام إلى مرسل، و لم يعد هناك احتكار من الإعلامي للرسالة و الوسيلة، حيث أصبح المستقبل الآن هو صاحب الرسالة الإعلامية.

و نظرا لجدة و حداثة موضوع الإعلام الجديد، فإن هناك القليل من الدراسات الأكاديمية التي تناولت نظريات الإعلام الجديد بالتفصيل، و من المراجع القليلة التي ناقشت الحاجة إلى تطوير نظريات الاتصال بحيث تتلاءم مع البيئة الإعلامية الجديدة كتاب بعنوان "**الكتاب المرجعي في الإعلام الجديد**" **The handbook new**

**Media** الذّي ظهر عام 2002، و ظهرت طبعته الثانية في عام 2006، و نجد أيضا ما كتبه الباحث **دينيس ماكويل Denis McQuail** بشكل مفصل عن الحاجة إلى نظريات جديدة في الإعلام في الطبعة السادسة من كتابه **"نظريات الاتصال"** تحت عنوان " **إعلام جديد – نظرية جديدة " –New Media New Theory**" بالإضافة إلى بعض المقالات التي نشرت في السنوات الأخيرة في الدورية العلمية المتخصصة بقضايا الإعلام الجديد، باسم New Media and Society.

**أولا: الإعلام الجديد:**

**1- مفهوم الاعلام الجديد:**

الواقع أن مصطلح (الإعلام الجديد new media) ليس جديداً للغاية، وليس وليد اللحظة. فكما أشار دينس مكويل أن مصطلح (الإعلام الجديد) كان يطلق منذ الستينات الميلادية على عدد من التقنيات الاتصالية الجديدة في ذلك الوقت مثل الأقمار الصناعية وتلفزيون الكابل ، وكان المصطلح يتسع مع ظهور تقنيات جديدة ليشمل ما يستجد من وسائل اتصال حديثة.

فالإعلام الجديد تولد من التزاوج ما بين تكنولوجيات الاتصال والبث الجديدة والتقليدية مع الكوميوتر وشبكاته، ولقد تعددت أسماؤه ولم تتبلور خصائصه النهائية بعد، فهو الإعلام الرقميDigital Media لوصف بعض تطبيقاته التي تقوم على التكنولوجيا الرقمية مثل التلفزيون الرقمي والراديو الرقمي وغيرهما، أو للإشارة إلى أي وسيلة إعلامية تندمج مع الكوميوتر، ويطلق عليه الإعلام التفاعلي Interactive Media طالما توفرت حالة العطاء والاستجابة بين المستخدمين لشبكة الانترنت والتلفزيون والراديو والفاعلين وغيرهم من النظم الإعلامية التفاعلية الجديدة. وهو أيضا الإعلام الشبكي الحي على خطوط الاتصال Online Media بالتركيز على

تطبيقاته في الانترنت، وغيرها من التسميات التي تشير إلى تطبيق جزئي من تطبيقات الإعلام الجديد أو احدى ميزاته.[1]

وقد قدمت الباحثتين **لايفرو** و **ليفنجستون** وصفاً للإعلام الجديد من خلال ثلاثة محاور تميزه عن الإعلام القديم. وهذه المحاور هي: تقنيات الاتصال الجديدة مثل الأقمار الصناعية والكمبيوتر والهواتف النقالة وغيرها، والنشاطات والممارسات والاستخدامات التي توفرها هذه التقنيات، ثم العلاقات الاجتماعية والتنظيمات والتشريعات التي تظهر من حول هذه الوسائل الجديدة.

وقد اقترحت الباحثتان أن أهم ما يميز الإعلام الجديد هو الخصائص التالية:

(1) **التواصل الشبكي المتداخل** Interconnectedness :بحيث يسمح بالتواصل من عدة نقاط إلى عدة نقاط أخرى، وليس فقط من نقطة واحدة إلى عدة نقاط، كما هو الحال في الاتصال الجماهيري التقليدي.

(2) **سهولة الوصول والدخول** Access: من قبل الأفراد المستخدمين ليقوموا بنشاطهم كمرسلين ومستقبلين ومنتجين.

(3) **التفاعلية** Interactivity: وهي قدرة المستخدم على المشاركة في إنتاج المحتوى الاتصالي، ويتفق الكثير من الباحثين أن هذه الخاصية هي من أهم ما يميز الإعلام الجديد، نظراً لأنها تكاد تكون معدومة من الاتصال الجماهيري التقليدي.

(4) **التنوع الغزير في المحتوى**: مقارنة بالإعلام القديم المحصور بأنواع وأنماط محددة من المضامين الإعلامية.

[1] عباس مصطفى صادق: الإعلام الجديد – دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة، عمان، دار الشروق، 2008 ص ص 3-4.

**(5) تعدد الاستخدامات وخاصية الانفتاح**Open-ended: على كل ما هو جديد موضوعياً وفنياً في محتوى وشكل المواد الإعلامية.

**(6) سعة الانتشار والتحرر من المكان** Delocatedness : وعدم ارتباط الإعلام الجديد بمنطقة جغرافية محددة ، أي أنه يتخطى حواجز المكان الجغرافي.

وحالياً استقر الوضع عند الكثير من الباحثين الإعلاميين على إطلاق مصطلح "**الإعلام الجديد على مجموعة من التقنيات والتطبيقات الحديثة التي تتصف بالصفات المذكورة أعلاه، وتلقى إقبالاً كبيراً من الجمهور في استخدامها والإستفادة**".

## 2- مقارنة الإعلام الجديد بالإعلام التقليدي:

يتفق الكثير من الباحثين أن أهم ما يميز الإعلام الجديد هو التفاعلية interactivity والقدرة على دمج المحتويات الإعلامية convergence ومعالجتها وتنسيقها وإرسالها وإستقبالها وتخزينها بمرونة عالية. وهناك عدة جوانب في الإعلام الجديد تميزه عن الإعلام القديم وتجعله منافساً قوياً وبديل له في الكثير من الأحيان. وقد ناقش ماكويل نقاط المقارنة بين الإعلام الجديد والإعلام القديم من أربعة جوانب رئيسة هي كالتالي[1]:

**أولاً، من حيث النفوذ وعدم التكافؤ** Power and Inequality : يختلف الإعلام الجديد عن الإعلام التقليدي بأنه أكثر انفتاحا وأقل احتكارا، فتمكين الوصول للإعلام الجديد أسهل وأسرع منه في الإعلام التقليدي. كما أن المعلومات فيه لا تتدفق من مركز واحد إلى الأطراف، ولا من أعلى إلى أسفل فقط، فحركة المعلومات في الإعلام الجديد تصدر من عدة اتجاهات، وتستقبل في عدة اتجاهات أيضاً. كما أنه من المعروف

[1] على شويل القرني: الإعلام الجديد من الصحافة التقليدية إلى الإعلام الاجتماعي وصحافة المواطن، الرياض، 2011.

أن الحكومات لا تتحكم بالإنترنت ووسائل الإعلام الجديد، ولا تضع لها التشريعات والأنظمة بنفس القدر الذي تضعه للإعلام الجماهيري التقليدي.

**ثانياً: من حيث التلاحم الاجتماعي والهوية الثقافية** Social integration and Identity : يقول **صان ستين** أنه نظراً لاستخدامات الإعلام الجديد المتنوعة، والتنوع الكبير في المستخدمين من حيث هوياتهم وأماكن تواجدهم وثقافاتهم المتعددة، فإنه يمكن الاستنتاج بأن الإنترنت والإعلام الجديد يؤدي إلى زيادة في التفكك والتشتت الاجتماعي. ولكن بالمقابل، كما يقول **سليفن** أن الإعلام الجديد يتيح ظهور أنواع جديدة من العلاقات الاجتماعية، ويساعد على تشكيل جماعات وشبكات من الأفراد الذين تربطهم اهتمامات وأهداف مشتركة بطريقة لم تكن متوفرة في الماضي. ففي السابق كان الإعلام التقليدي يخاطب الحاجة للتلاحم الاجتماعي وتعزيز الهوية من خلال منظور الدولة الواحدة، أو القومية الواحدة التي يحدها نطاق جغرافي محدد. فكان أهم عنصر يحدد الهوية هو الموقع الجغرافي، أما في عصر الإعلام الجديد فالهوية والاهتمام الثقافي يتجاوز حدود الدولة الواحدة بسهولة.

**ثالثاً: من حيث القدرة على إحداث التغيرات الاجتماعية والمساهمة في مشاريع التنمية** Social change and Development: من زاوية النظر التقليدية فحملات التنمية والتغيير الاجتماعي تحتاج إلى تخطيط مركزي وتنظيم ذو اتجاه واحد ومجهودات جماعية مركزية بالإضافة إلى ميزانيات ضخمة في أغلب الأحيان. هذه الخصائص غير موجودة في الإعلام الجديد، حيث يغلب عليه طابع اللامركزية وتعتمد كثيراً على المجهودات الفردية أو الجماعية المصغرة[1].

**رابعاً: التعامل مع المكان والزمان** Space and Time: فيما يتعلق بتخطي حواجز المكان والزمان، نجد أن الإعلام التقليدي في الواقع وصل إلى مرحلة من القدرة على تخطي حواجز المكان قبل ظهور وانتشار الإعلام

[1] المرجع نفسه.

الجديد، فالتلفزيون يصل إلى أي منطقة في العالم بالبث الحي عبر الأقمار الصناعية، ويتخطى حواجز الدول والبلدان، وحقق بذلك تفوقاً ملحوظاً على وسائل النقل التقليدي التي سبقته مثل السيارات والقطارات والطائرات. ولكن انتشار الإعلام الجديد ضاعف من هذه القدرة وخفف من أعباء الإرسال التقليدي الذي يتطلب تجهيزات وميزانيات ضخمة لتشغيله. كما أن الإعلام الجديد تحرر من قيود المكان التي تفرض على الإعلام التقليدي التواجد في مراكز بث محددة وأماكن إستقبال محددة.

**ثانيا: تطبيق بعض نظريات الاتصال على الاعلام الجديد:**

سنحاول في هذا الجزء من الدراسة التركيز على أكثر النظريات ظهورا في بحوث الإعلام الجديد وهي: **وضع الأجندة، الاستخدامات والاشباعات، انتشار المبتكرات، وفجوة المعرفة**[1].

### 1- نظرية وضع الأجندة:

فعلى صعيد فرضيات وضع الأجندة يمكن القول بوجود اتجاهين نظريين أساسيين، كشفت عنهما البحوث والدراسات في هذا المجال:

- يرى أصحاب الاتجاه الأول وهو الاتجاه الغالب أن وسائل الإعلام الجديدة بما في ذلك شبكات التواصل الاجتماعي تلعب دورا في وضع أجندة الجمهور .ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه على أن بعض سمات محتوى الإعلام الجديد مثل الروابط الفائقة والوسائط المتعددة تحقق شرط بروز القضية أو الحدث وتؤكد أنها /أنه يتمتع بأهمية كبيرة، ودعمت بحوث هذا الاتجاه فرضيات وضع وسائل الإعلام الجديد لأجندة الجمهور خاصة في الاحتجاجات الجماهيرية ودمج الأجندة الشخصية بالأجندة الجماعية في الجماعات الافتراضية على الإنترنت، كما دعمت فرضية تقول إن شبكات التواصل الاجتماعي لها القدرة على بناء أجندة الصحفيين وبالتالي أجندة الجمهور في القضايا السياسية.

[1] حسني محمد نصر: اتجاهات البحث والتنظير في وسائل الإعلام الجديدة، جامعة القاهرة، 2015.

- في المقابل فإن الاتجاه الثاني يرى عكس ذلك تماما ويؤكد سقوط نظرية وضع الأجندة في وسائل الإعلام الجديدة، ويرجع أصحاب هذا الاتجاه ذلك إلى أن بيئة وسائل الإعلام الجديدة أتاحت للجمهور مصادر غير محدودة من المعلومات، وأضعفت إلى حد كبير سيطرة النخبة ووسائل الإعلام على المعلومات، وقوضت فكرة بوابات الحراسة، وكلها عوامل تحد من قدرة هذه الوسائل في وضع وبناء أجندة الجمهور في القضايا العامة.

**2- نظرية الاستخدامات والاشباعات:**

يمكن القول إن هذا المدخل النظري حظي باهتمام كبير من جانب الباحثين في وسائل الإعلام الجديدة، إلا أن هذا الاهتمام لم ينتج عنه تطوير حقيقي لما يقدمه المدخل حول دوافع استخدام الوسائل الجديدة أو الاشباعات المتحققة من هذا الاستخدام. ودارت الإسهامات النظرية المحدودة لهذه البحوث في نطاق تقسيم دوافع الاستخدام إلى ثلاثة مجموعات تغطي سمات الوسيلة ومواقف التعرض وإمكانية الوصول. وإذا كنا لا نستطيع استخلاص توجهات نظرية وليدة في بحوث استخدامات واشباعات وسائل الإعلام الجديدة فمن الممكن أن نشير إلي توجهات بحثية جديدة يمكن أن ينتج عتها إضافات نظرية في المستقبل، مثل بحوث استخدامات واشباعات شبكات التواصل الاجتماعي التي أصبحت أكثر تركيزا علي قضايا كشف الهوية وسلوكيات الصداقة والخصوصية على هذه الشبكات، وكذلك ظاهرة استخدام عدد من التكنولوجيات الرقمية في نفس الوقت، ومدى تعبير مجتمعات هذه الشبكات عن التنوع الحقيقي في المجتمعات الانسانية، والعلاقة بين رأس المال الاجتماعي وبين استخدام هذه الشبكات.

### 3- نظرية انتشار المبتكرات:

يمكن التمييز بين ثلاثة توجهات بحثية تقود البحث في هذا المجال في الإعلام الجديد، هي: بحث تبني الأفراد لوسائل الإعلام الجديدة على حساب وسائل الإعلام التقليدية، وبحث تبني الصحفيين والمؤسسات الإعلامية للمستحدثات الجديدة المتصلة بالاندماج الإعلامي، وبحث تبني الصحفيين لشبكات التواصل الاجتماعي كمنصة للنشر ووسيلة للترويج للقصص الصحفية، والتواصل مع القراء، والحصول على المصادر والمعلومات. وباستثناء الخلاصات النظرية التي تؤكد السرعة الكبيرة التي تم بها تبني وسائل الإعلام الجديدة مقارنة بالمعدلات الزمنية المرتفعة لتبني وسائل الإعلام التقليدية، يمكن القول إن تطبيق نظرية انتشار المبتكرات على وسائل الإعلام الجديدة لم ينتج عنه تغيرات ملموسة في فرضيات أو مفاهيم النظرية حتى الآن.

### 4- نظرية فجوة المعرفة:

تتمثل الإضافة المهمة التي نتجت عن تطبيق هذه النظرية على وسائل الإعلام الجديدة في بلورة مفهوم الفجوة الرقمية، وهو المفهوم الذي أصبح يستخدم لوصف الاختلاف بين الأفراد والجماعات والدول في الوصول إلى والقدرة على استخدام وسائل الإعلام الجديدة. وتشير التوجهات البحثية في هذا المجال إلى أن تزايد الفجوة الرقمية بين الدول قد يقود إلي إمكانية ظهور دعوات في المستقبل لإنشاء نظام عالمي رقمي جديد علي غرار النظام العالمي الإعلامي الجديد الذي ثار حوله الجدل في سبعينيات القرن الماضي وقبل ظهور وسائل الإعلام الجديدة، إذ لم تعد الفجوة تقتصر علي الانتشار غير المتوازن للإنترنت ووسائل الإعلام الجديدة في دول العالم، وإنما تشمل أيضا متغيرات أخرى مثل ضعف الاتصال وارتفاع التكلفة وانخفاض الجودة وصعوبات الحصول على المساعدة الفنية والوصول إلى المحتوى المدفوع في الدول الفقيرة.

**ثالثا: النظريات الجديدة في الإعلام الجديد:**

**نظرية التشكل العضوي:**

النظرية الوحيدة التي اتفق الباحثون في الاتصال على أنها نظرية في الإعلام الجديد هي نظرية **التشكل العضوي لوسائل الإعلام** Mediamorphosis theory التي طورها **روجر فيدلر** ونشرها في العام 1997 لشرح العلاقة بين وسائل الإعلام الجديدة وبين وسائل الإعلام التقليدية. فيعرف **فيلدر** التشكل العضوي لوسائل الإعلام بأنه وسيلة موحدة للتفكير في التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال .ويقول إنه "من خلال دراسة أنظمة الاتصال الإنساني ككل، سوف نرى أن وسائل الإعلام الجديدة لا تنشأ تلقائيا وبشكل مستقل ولكنها تظهر تدريجيا نتيجة للتحول العضوي، والتحول العضوي هو عملية بيولوجية يتطور من خلالها الكائن الحي جسديا بعد الولادة أو الفقس. ويري **فيدلر** أن وسائل الإعلام مثل الأنظمة الأخرى تستجيب للضغوط الخارجية عن طريق إعادة تنظيم نفسها، ومثل الكائنات الحية فإنها تتطور لكي تزيد من فرص بقائها على قيد الحياة، ولكي تواكب التغيرات في بيئة متغيرة. ويستمد **فيدلر** مبدأ التحول العضوي لوسائل الإعلام من ثلاثة مفاهيم، هي : **التطور المشترك** Coévolution و**التقارب** Convergence **والتعقيد**[1] Complexity .

وتفترض هذه النظرية التي يطلق عليها البعض نظرية" **التحول الرقمي**"، أن وسائل الإعلام القائمة تتطور عندما تظهر وسيلة إعلامية جديدة، إذ تعمل كل وسيلة بطريقة أقرب إلى عمل العناصر المشكلة لأي نظام حيوي، ويرتبط تطورها ويعتمد على تطور الوسائل الأخرى المحيطة بها. ويشير التاريخ إلى أن وسائل الإعلام القديمة والجديدة سوف تتعايش معا، وبالتالي لا يكون الموت هو مصير الوسائل القديمة.

**الخـــاتمة:**

[1] المرجع نفسه.

وبشكل عام، يمكن القول أن الإعلام الجديد ساهم في انتقال جزء من النفوذ والسيطرة التي كانت لدى المركز إلى الأطراف ومن المرسل إلى المستقبل. وهو تحول في التوازن بين الطرفين.

ونستنتج من ذلك أيضاً أن مفهوم الاتصال لم يتلاشى ولم يتوقف تماماً مع ظهور وانتشار الإعلام الجديد، ولكنه أخذ شكلاً جديداً عن طريق توجيه الاتصال من طرف واحد إلى جمهور ضيق ومحدد باهتمام خاص وهذا ما يسمى بالبث الضيق (المتخصص). حيث يمكن القول أن الإعلام الجديد هو ليس بديلا كاملا للإعلام القديم، بل هو مكمل له في الوظائف والاستخدامات.

ومن الناحية النظرية، يقول ماكويل أن هذا يدعونا إلى إعادة النظر في نظريات الاتصال التي تدرس أثر وسائل الاتصال والتي نشأت حول وسائل الاتصال الجماهيري التقليدية. فهي نظريات يمكن إستخدامها على الأنواع التقليدية من الإعلام التي لازلت موجودة إلى الآن، ولكن هناك حاجة إلى نماذج نظرية جديدة لدراسة الأسلوب التفاعلي الجديد في وسائل الاتصال. وهي بيئة اتصال جديدة تعتمد على مبادرة الجمهور في إختيار المحتوى والمشاركة في إنتاجه وتوزيعه وتخزينه. ويطلق عليه مكويل أسم النموذج التفاعلي أو النموذج المعتمد على إختيار الجمهور.